أجاثا كريستي

مصرع اللورد إدغوير

دار النجمة للنشر والتوزيع

مَصرَع اللّورد إدغوير

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

مَصرَع اللّورد إدغوير

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأوّل
سهرة في مسرح

كانت لندن في ذلك الوقت تحيط بإعجابها ممثّلة أمريكية ناشئة تُدْعى كارلوتا آدمز. اعتادت تلك الممثّلة أن تظهر بنوع خاصّ في الأدوار الفردية، فلفتت الأنظار بخفّة روحها ورشاقة حركاتها وبما تمتاز به المقطوعات التمثيلية والغنائية الفردية الصغيرة التي تلقيها من الدعابة والفكاهة.

وفي مساء يوم من أيام شهر حزيران (يونيو) ذهب الشرطي السرّي البلجيكي الشهير هيركيول بوارو إلى المسرح ليروّح عن نفسه وفي رفقته صديقه الكابتن هيستنغز. واختتمت كارلوتا مقطوعاتها بمشهد صغير أسمته «شخصيات مقلَّدة»، وفي ذلك المشهد كان نجاحها عظيماً منقطع النظير، فكانت تقلّد فيه بعض المشاهير والعظماء من الرجال والنساء فقلّدت وزير الخارجية الإنكليزية بحركاته وإيماءاته وردّدت بصوت لا يختلف عن صوته بعض العبارات التي اعتاد أن يلوكها، وعقّبت بشخصية رئيس الوزارة ثم بشخصيات بعض كواكب التمثيل المشهورين.

وكانت بين الشخصيات المقلَّدة شخصية جين ولكنسون،

وهي ممثّلة من نيويورك استفاضت شهرتها في العالم أجمع ولها في لندن منزلة خاصّة؛ فقد تزوّجت منذ ثلاثة أعوام باللورد إدغوير من كبار الأغنياء في إنكلترا، لكن زواجهما لم يكن موفّقاً وما لبثت الإشاعات أن تردّدت بعد شهور قليلة بأنها هجرته. على أن المعروف على وجه التحقيق أنها سافرت إلى أمريكا عقب الزواج وأمضت هناك أكثر من عام مشتغلة بالتمثيل السينمائي، ولما رجعت إلى لندن عادت إلى الظهور على المسرح حيث كانت تَلقى نجاحاً باهراً.

واستطاعت كارلوتا آدمز في تقليدها لشخصية جين ولكنسون أن تبلغ من الإتقان حداً أثار إعجاب المشاهدين ودفعهم إلى التصفيق الحادّ، وفي أثناء ذلك الهتاف دوّت في أرجاء المكان ضحكة رنّانة فالتفت الكابتن هيستنغز إلى مصدر الضحكة فإذا صاحبتها هي السيدة إدغوير أو بعبارة أخرى جين ولكنسون.

كانت الممثلة الكبيرة شديدة الإعجاب بقدرة كارلوتا آدمز على محاكاة شخصّيتها بمثل ذلك الإتقان. والتفتت جين ولكنسون إلى جليسها (وهو شابّ وسيم من ممثّلي السينما المعروفين ويُدْعى بريان مارتان) وقالت له: يا لها من فتاة مدهشة!

فابتسم قائلاً: يبدو لي يا جين أنك سُرِرتِ بمشاهدة شخصيّتك المقلَّدة.

- بكل تأكيد؛ فما كنت أظنّ أن هناك من يستطيع أن يقلّدني إلى هذا الحدّ!

ولما انتهى التمثيل ذهب بوارو وصاحبه الكابتن هيستنغز إلى فندق سافوي لتناول العشاء، وشاءت الأقدار أن تجمع بين تلك

الشخصيات، فإلى إحدى الموائد جلس الشرطي السرّي وصديقه، وإلى مائدة أخرى جلست السيدة إدغوير وأمامها بريان مارتان مع شخصَين آخرين، وإلى مائدة ثالثة جلست مقلّدتها كارلوتا آدمز مع صديق لها.

وراح الكابتن هيستنغز يتأمّل الممثّلة الناشئة ويدير عينيه في وجهها. كانت ترتدي ثوباً أسود اللون شديد الاحتشام وكانت ملامحها جامدة لا توحي بأن لها شخصية معيّنة؛ فقد كان من الهيّن عليها أن تبرع في محاكاة شخصيات سواها، على نقيض جين ولكنسون التي كانت تمتاز بشخصية ظاهرة خلابة لا يمكن طمسها.

والتفت الكابتن هيستنغز إلى صديقه بوارو وأفضى إليه بتلك الخواطر التي جالت في نفسه، فأسل الشرطي السرّي البلجيكي بصره إلى تلك الجماعة وقال: نعم، هذه هي السيدة إدغوير، لقد رأيتها تمثّل أكثر من مرّة، وهي امرأة جميلة فاتنة.

- وقدرتها في التمثيل لا تقلّ عن جمالها، ألست معي في هذا؟

- ربما، فهذا يتوّقف على الدور الذي تمثله، فإذا كانت تقوم بدور رئيسيّ وكانت هي محور الرواية أبدعت وأعجزت، أمّا إذا عهدوا إليها بدور ثانويّ فأغلب ظني أنها حقيقة بأن تسقط فيه سقوطاً فاحشاً. هي في رأيي امرأة من ذلك الطراز الذي يشعر ويوقن بأن كل شيء تجمّع فيها، فهي لا تحسّ بما يجري خارج ذهنها أو إرادتها. ومثل هذا الطراز من النساء عُرضة لأخطار جسيمة.

فقال الكابتن هيستنغز بشيء من الدهشة: أية أخطار؟!

- أتدهشك هذه الكلمة يا صديقي؟ إن جين ولكنسون -فيما أعتقد- شديدة الاعتداد بشخصيتها، فشخصيتها في نظرها هي كل شيء وهي الدنيا بأسرها مجتمعة في نفسها. والمرأة المعتزّة بشخصيتها عُرضة لأن يغشي العمى بصيرتها فلا ترى الهاوية التي تُفتح تحت قدمَيها، ولا ترى إلاّ المجد الذي يتراءى لها في الأفق فتمضي إليه مسرعة دون أن ترمي ببصرها إلى موقع خُطاها فتتردّى في الهاوية إن عاجلاً أو آجلاً.

ولم يُخفِ الكابتن هيستنغز عن صديقه بوارو إنكاره لتلك النظرية العجيبة، ثم قال يسأله: وما رأيك في الممثلة الأخرى؟ بأيّ شيء تتنبّأ لها؟

فضحك بوارو وقال: وهل حسبتَني مُنجّماً؟

- لا، ولكنك خبير بخبايا النفوس.

- أنا أحمد لك هذه الثقة يا عزيزي هيستنغز، ولكن أرجوك أن تعلم أن المرء إنما يحكم على الناس بوحي من شخصيته الخاصّة، فهو يُسبِغ على سواه بعض ما في نفسه وقلّما يصيب في حكمه.

فابتسم الكابتن هيستنغز وقال: عدا بوارو؛ فهو قلّما أخطأ في حكم.

- أنت مخطئ في هذا يا عزيزي؛ فما يسري على الناس إنما يسري أيضاً على هيركيول بوارو. أنت تعتقد أنني أتعمّد أن أغمط نفسي قدرها وأنني أميل إلى التواضع و...

فقاطعه هيستنغز بقوله: أنت فعلاً متواضع.

- أجل، إلاّ فيما يتعلّق بشاربي، فلست أُخفيك سرّاً إن شاربي يبثّ في نفسي شعوراً بالزهو والكبرياء، وأصارحك بأنني لم أرَ في لندن كلّها شارباً يضاهيه شكلاً وجمالاً.

- هذا صحيح، ولكن دعنا الآن من شاربك وحدّثني عن رأيك في كارلوتا آدمز.

- إنها ممثّلة، فأيّ شيء تريد مني أكثر من هذا؟

- أليست حياتها في رأيك مهدَّدة بالأخطار كحياة السيدة إدغوير؟

فقال بوارو بهدوء: وهل في الدنيا مَن يأمن الخطر؟ كلّنا عُرضة للنكبات. إن النجاح مقدَّر لها ولكن لا بدّ لها من الحيطة والحذر؛ فعقبة واحدة كفيلة بأن تعرقل طريقها وتهدم آمالها.

- أية عقبة؟

- الإسراف في حبّ المال.

- هذه عقَبة يصادفها كل منّا.

- هذا صحيح، ولكن الشخص العاديّ يفكّر قبل أن يقدِم ويَزِن المضارّ والمزايا قبل أن يُقحم نفسه في أيّ عمل، أمّا كارلوتا آدمز فهي فيما أرى من طراز آخر، فالمال عندها سيّد مطاع ومن أجله تُقْدِم بغير تردّد.

وكان بوارو يتكلّم بلهجة جادّة تشوبها الكآبة والاهتمام جعلت الكابتن هيستنغز يبتسم بدهشة. واسترسل الشرطي البلجيكي قائلاً:

أنت لا تجهل طبعاً أن مهنتي كشرطي سريّ حملتني على أن أدرس علم النفس دراسة وافية؛ إذ ليس يكفي أن تبحث عن المجرم وإنما يجب قبل كل شيء يجب أن تفتش عن الدافع إلى الجريمة؛ فالدافع في الغالب هو الذي سيهديك إلى الجاني، أو قُل بعبارة أخرى إن الدافع والجاني وحدة لا تتجزّأ، فكلاهما مرتبط بالآخر ومرشد إليه. أنا عندما أتولّى تحقيق إحدى القضايا أراك شديد الاهتمام بالجانب المادّي منها، فأنت تحثّني دائماً على أن أبحث عن بصمات الأصابع أو أن أُحلّل رماد التبغ أو نحو ذلك من الآثار المادّية، ولكن يغيب عنك أنني حينما أرتمي على المقعد وأغمض عيني وأغرق في التفكير إنما أتقدّم في إماطة اللثام عن اللغز أضعاف ما أتقدّم إذا ما حلّلت الرماد أو بحثت عن البصمات. أنا أستطيع أن أرى بعيني الروح أكثر مما أرى الجسد، فاليقظة الذهنية في اعتقادي هي العنصر الأول في نجاح الشرطي السرّي.

فضحك الكابتن هيستنغز وقال: أمّا أنا فلا أغمض عيني إلاّ لأفكّر في شيء واحد هو النوم.

وأخذ بوارو يشرح نظريته لصاحبه بإسهاب فقاطعه فجأة بقوله: يبدو لي يا عزيزي بوارو أنك أصبحت فاتناً للنساء؛ فالسيدة إدغوير لا تكاد ترفع بصرها عنك.

فقال بوارو وهو يتظاهر بقِلّة الاكتراث: يُحتمَل أنها عرفتني من صوري التي تنشرها الصحف.

- أمّا أنا فأعتقد أن شاربك الجميل المفتول هو الذي فتنها.

ودون وعي امتدّت يد بوارو إلى شاربه فزاده فتلاً ثم قال: لو أنك يا عزيزي هيستنغز كنت معنيّاً بشاربك عنايتي لظفرت ببعض

نظرات السيدة إدغوير و...

فقاطعه هيستنغز بقوله: انظر، لقد نهضت وتتّجه إلى ناحيتنا!

والواقع أن جين ولكنسون تركت مائدتها واتجهت إلى مائدة الشرطي السرّي، ووقفت أمامه فنهض واقفاً وحيّاها باحترام فقالت تسأله بصوت موسيقيّ عذب: ألست السيد هيركيول بوارو؟

- بلى يا سيدتي، وفي خدمتك دائماً.

- أنا شديدة الرغبة في أن أتحدّث معك يا سيد بوارو.

- أنا مصغ إليك يا سيدتي فتفضّلي بالقعود.

- لا، لا. ليس هنا، فلنصعد إلى جناحي الخاص إذا سمحت.

فلحق بها بريان مارتان وهو يقول: فلننتظر على الأقلّ يا جين حتى نفرغ من العشاء؛ فالسيد بوارو نفسه لم يكد يبدأ عشاءه بعد.

ولم يكن من السهل ثنيها عن غرضها فقالت بإلحاح: وما أهمية ذلك يا مارتان؟ في وسعنا أن نكمل عشاءنا في غرفتي. مُرْ النادل بأن يحمل الطعام إلى جناحي.

فقطب بريان جبينه ثم هزّ كتفيه مذعناً ومشى فلحقت به وهمست في أذنه ببضع كلمات، ولما رجعت التفتت إلى بوارو وصديقه الكابتن هيستنغز وقالت: هيا بنا.

وتقدّمت بهما إلى المصعد دون أن تنتظر منهما رأياً

بالموافقة أو عدمها، ولما احتواهم المصعد التفتت إلى بوارو قائلة: ما أسعدني إذ لقيتك في طريقي الليلة يا سيد بوارو! إن الحظّ يحالفني.

فقال بوارو مجاملاً: إذا كان في وسعي أن أُسدي إليك خدمة فأنا...

- أنا موقنة من استطاعتك، فأنت أعجوبة عصرك.

ولما بلغ المصعد الطابق الثاني قادت جين ولكنسون ضيفَيها إلى غرفة مؤثثة بذوق سليم، وخلعت جين ولكنسون معطفها وارتمت على أحد المقاعد وأرسلت بصرها إلى هيركيول بوارو ثم قالت: إن الخدمة التي أريدها منك يا سيد بوارو هي أن تخلّصني من زوجي، يجب أن أتخلّص منه بأيّ ثمن وبأية طريقة!

* * *

الفصل الثاني

العشاء

بعد دهشة المفاجأة قال بوارو: ولكن تخليص زوجة من زوجها لا يدخل في نطاق عملي يا سيدتي.

- لا أظن ذلك.

- أنا أقترح عليك الاستعانة بأحد المحامين.

- محال أن أفعل ذلك؛ لقد استشرتُ طائفة كبيرة من المحامين منهم الشرفاء الأمناء ومنهم عديمو الذمة فأجمعوا كلّهم على أنه لا حلّ لمشكلتي. إن المحامين فيما أعتقد مجرَّدون من ميزة الفهم.

- وهل تعتقدين يا سيدتي أنني مجرَّد من هذه الميزة؟

- أنت فيما أرى راجح العقل موفور الذكاء.

فضحك بوارو وقال: إذن لا داعي للإنكار. نعم، أنا ذكيّ يا سيدتي بل موفور الذكاء كما تقولين، ولكنك تسألينني أمراً لا يدخل في نطاق عملي.

- إنها مشكلة عويصة تتطلب حلاً، وعهدي بك حلاّل المشكلات ولست ممن ينكصون أمام العراقيل والعقبات.

- اسمحي لي يا سيدتي أن أهنّئك على قدرتك الفذّة على الجدل والحوار، ولكن اسمحي لي في الوقت نفسه أن أعيد عليكِ ما قلتُ وهو أنني لا أعالج مسائل الطلاق؛ فمثل هذه المسائل تثير اشمئزازي!

- وهل حسبتَني يا سيدي سأطلب منك أن تتجسّس على زوجي؟! إن مثل هذا التجسّس لا نفع فيه، كل ما في الأمر أنني أريد أن أتخلّص من زوجي وأريد منك أن ترشدني إلى الطريقة التي ينبغي أن أتبعها.

ففكّر بوارو برهة ثم قال: أحب أن أعرف قبل كل شيء يا سيدتي الدافع الذي يحملك على طلب التخلّص من اللورد إدغوير.

فأجابته جين ولكنسون بغير تردّد: لأنني أريد أن أتزوّج شخصاً آخر. هل تظنّ أنه يمكن أن يوجد سبب غير هذا؟

- ولِمَ لا تتفقان على الطلاق بطريقة ودّية؟

- لو أنك عرفت زوجي لما قلت هذا، أنا... ماذا أقول؟ إنه شخص شاذّ غريب الطباع، ولا أظنك تجهل أن زوجته الأولى هربت من بيت الزوجية هائمة على وجهها وتركت وراءها طفلة لم تتجاوز من العمر ثلاثة شهور. لقد أبى إباءً عنيداً أن يطلّقها ولم ينقذها من براثنه إلاّ الموت. وعلى أثر ذلك تزوّجني، ولكنني ما لبثت أن أدركت أن الحياة معه لا تطاق؛ فهو يملأ قلبي رهبة وفزعاً، ولقد دعاني هذا الأمر إلى هجره والرحيل إلى الولايات

المتحدة. وليس لديّ من الأسباب المادّية ما يمكّنني من الظفر بالطلاق إذا طلبته، أمّا هو فلا يفكّر في طلبه على الرغم من هجري له.

- ولكنني أعرف يا سيدتي أن بعض الولايات الأمريكية تمنح الطلاق بسهولة، فلماذا لا تلجئين إلى محاكمها؟

- وما الفائدة وليس لقراراتها قيمة في إنكلترا على حين أنني سأتزوّج رجلاً منها؟

- ومَن ذلك الرجل؟

- الدوق مارتون.

وكان الدوق مارتون من أبرز الشخصيات في المجتمع الإنكليزي، وقد امتاز بميوله الفنية وزهده في الزواج مما أثار عليه نقمة كل أُمّ في إنكلترا لها فتاة في سنّ الزواج.

واسترسلت جين قائلة بصوت يفيض بالعاطفة: كلانا يحب الآخر، وأنا لم ألقَ في إنكلترا رجلاً له سحر الدوق، فقصره حافل بالتحف والنفائس، وفي نيّتي أن أهجر المسرح إذا ما تزوّجته.

فقال بوارو بلهجة أدنى إلى الجفاء: واللورد إدغوير يضع العراقيل في سبيل هذا الزواج السعيد، أليس كذلك؟

- بلى، ويمكنك أن تدرك من ذلك مبلغ غيظي وغضبي. لو أننا كنا في شيكاغو لعرفتُ كيف أتخلّص منه، فحفنة من المال أَدسّها في يد أحد رجال العصابات كفيلة بأن تنقذني منه إلى الأبد.

- في هذه البلاد يا سيدتي لكل إنسان الحقّ في أن يعيش،

وعلى كل إنسان أن يحترم هذا الحقّ.

- وهل تعتقد يا سيد بوارو أن هذا يتّفق والإنصاف؟ ألا ترى أن إنكلترا تكون أسعد حالاً لو أنها تخلّصت من بعض ساستها الحمقى؟ أمّا فيما يتعلّق باللورد إدغوير ففي وسعي أن أؤكّد لك أنه ليس في موته أية خسارة للعالم.

ودقّ الباب في تلك اللحظة ودخل بعض الخدم يحملون أواني الطعام، ولكن السيدة إدغوير استرسلت في حديثها كأنما لا تشعر بوجودهم قائلة: ولكنني لا أطلب منك يا سيد بوارو أن تقتله إكراماً لي.

- شكراً يا سيدتي.

قالت: حاول أن تقنعه بأن يطلب الطلاق، وأنا أعتقد أنك قويّ الحجّة وأن لك في الإقناع أسلوباً بارعاً. ثم رمته بنظرة ساحرة وقالت بصوت رقيق عذب: ألا تريد أن تراني سعيدة؟

فقال بوارو بشيء من الحذر: أتمنى أن أرى العالمَ كلّه سعيداً!

- طبعاً، طبعاً. ولكنني لا أتكلّم الآن عن العالمَ وإنما أتكلّم عن نفسي. أتحسبني أنانية؟ لا، فلست على شيء من الأنانية ولكن من حقّي أن أفكّر في نفسي. يجب أن أعيش سعيدة، وهذه السعادة لن تتحقّق إلاّ بطلاقي منه أو... بموته. الموت أو الطلاق هو الحلّ الوحيد لهذه المشكلة المستعصية، هو الوسيلة الوحيدة الكفيلة بإنقاذي من الشقاء.

ثم أردفت بلهجة بطيئة قائلة: ولعَمري إن موته خير لي؛ ففيه

نجاة حاسمة وسريعة.

ثم نظرت إلى بوارو وقالت وهي تنهض واقفة وقد سمعت وقع أقدام تقترب: في وسعي أن أعتمد عليك يا سيدي وإلاّ...

- وإلاّ ماذا يا سيدتي؟

فضحكت وقالت: وإلاّ ذهبتُ إليه وقتلتُه بيدي.

ثم مضت إلى الغرفة المجاورة في اللحظة التي أقبل فيها بريان مارتان وفي رفقته كارلوتا آدمز وصديقها والشخصان اللذان كانا يشاطرانه وجين مائدتهما، فقدّمهما مارتان إلى بوارو والكابتن هيستنغز باسم السيد والسيدة ودبيرن وقال: ولكن أين جين؟ أريد أن أخبرها بنتيجة المهمّة التي عهدت بها إليّ.

فظهرت جين على عتبة القاعة وفي يدها إصبع طلاء الشفاه الأحمر وقالت: أنا هنا. أنا مسرورة بالتعرّف إليك يا آنسة آدمز، فنبوغك في تقليد شخصيّتي فاق حدّ الإعجاز حتى رغبت في التعرّف إليك. تفضّلي معي إلى غرفة نومي لنتبادل الحديث قليلاً ريثما أكمل زينتي.

فسارت إليها كارلوتا على حين ارتمى بريان مارتان على أحد المقاعد قائلاً: والآن أخبرني يا سيد بوارو، هل أفلحت جين في إقناعك بأن تنهض إلى نجدتها؟ صدّقني أنت حقيق بأن تُذعن إن عاجلاً أو آجلاً؛ فجين لا تعرف كلمة لا.

- يغلب على ظنّي أنها لم تجد حتى اليوم من يقول لها «لا».

- إن جين ذات خُلق عجيب، فهي لا تحترم شيئاً ولا تبجّل

مخلوقاً. ليس في الدنيا في نظرها إلاّ شيء واحد هو إرادتها النافذة.

ثم ابتسم وأردف قائلاً: وأنا أعتقد أنها لا تُحجِم عن قتل أيّ شخص حتى وإن كان ذنبه الوحيد أنه يضايقها، وإذا ما أدانها القضاء وجدت في تلك الإدانة ظلماً صارخاً! ولكنها في الوقت ذاته لا تحاول أن تخفي جريمتها أو تتستّر على نفسها.

فقال بوارو وهو ينظر إلى بريان مارتان نظرة فضول أثارت استغراب الكابتن هيستنغز: إذن فأنت تعرفها حقّ المعرفة يا سيدي.

- أجل، بكل أسف!

وأرسل بصره إلى السيد ودبيرن وزوجته قائلاً: ألستما من رأيي؟

فقالت السيدة ودبيرن: إن جين في الحقيقة ذات إرادة جبّارة، ولكن...

وفي تلك اللحظة جاءت جين وفي رفقتها آدمز فانقطع الحديث وانتظموا جميعاً حول المائدة يتبادلون الأحاديث والنكات ببساطة وغير كلفة.

كان السرور يبدو على وجوه الحاضرين جميعاً، ولكن الكابتن هيستنغز كان يشعر من حين لآخر بأن هناك شيئاً غريباً شاذاً لا يفهمه يخالج الحاضرين ويتراءى في نظراتهم، ولم يكن يدري على وجه التحديد ما ذلك الشيء ولكنه كان موقناً من وجوده كل اليقين. وأخذ ينقل بصره بين الجالسين محاولاً أن يستشفّ من

نظرهم ما يجول في خواطرهم.

كان بريان مارتان بادي التكلّف والتأنّق في حركاته وإيماءاته ولهجته، ولعلّ ذلك يرجع إلى مهنته كممثّل سينمائي، فقد كان واضحاً أن الغرور يملأ نفسه إلى درجة تجعله يمثّل حتى وهو خارج الاستوديو.

أمّا كارلوتا آدمز فكانت طبيعية في حركاتها وأحاديثها بعيدة عن المغالاة والتكلّف، وكان لها صوت عذب لطيف الوقع في الآذان، وشعرها الأسود المتهدّل على جبينها الناصع البياض يكسبها وداعة ورقة. وكانت تصغي في ابتهاج إلى كلمات الإطراء التي كانت جين ولكنسون لا تزال تسوقها إليها، ولكن حينما حوّلت جين بصرها عنها لتتحدّث مع بوارو ارتسمت في عينَي كارلوتا دلائل الحقد والكراهية. وفطن الكابتن هيستنغز إلى ذلك فعجب للأمر وخطر له أن من المحتمل أنها كراهية مصدرها الغيرة التي تكون عادةً بين أصحاب المهنة الواحدة إذا ما تفاوتت بينهما الدرجات؛ فجين من ممثلات الطبقة الأولى وقد بلغت القمّة على حين أن كارلوتا لا تزال في بدء حياتها المسرحية.

أمّا السيد والسيدة ودبيرن فكانا يمثلان الإنكليزي الذي أتاه الثراء فوقع في نفسه أن الحديث عن المسارح هو الحديث الوحيد الخليق بالأغنياء، فقد تحوّلت السيدة ودبيرن إلى الكابتن هيستنغز لتحدّثه في تلك الشؤون، فلمّا وجدته جاهلاً بها لغيبته الطويلة عن إنكلترا انصرفت عنه ولم توجّه إليه كلمة بعد ذلك.

وكانت الشخصية الأخيرة بين الحاضرين هي شخصية صديق كارلوتا آدمز، وهو شابّ أسمر اللون ذو وجه مكتنز يميل إلى

الاحمرار، وكان في أوّل أمره نَزوعاً إلى الصمت بادي الكآبة، فلمّا فعل الشراب في نفسه فعله انطلق يتكلّم ويثرثر موجّهاً حديثه إلى الكابتن هيستنغز بلهجة لا تكون إلاّ بين صديقين حميمين قائلاً: أنت تفهم طبعاً ما أرمي إليه يا صديقي العزيز، أليس كذلك؟ إذا تعرّفتَ على امرأة وكانت تلك المرأة لا تفتأ تلومك وتعنّفك دون أن ترفع صوتك في وجهها فإن تلك المرأة... أنت طبعاً تفهم ما أعني! هي تريد أن تتحكّم فيك، تماماً مثل هذه المرأة. ولكن يجب أن تعرف أنها امرأة فاضلة، بل قُل فتاة فاضلة... يا إلهي! فِيمَ كنت أتحدّث؟

- لقد كنت تقول إن هذه الفتاة تعنّفك كثيراً.

- تعنّفني أنا؟! لو أنها عنّفتني لصفعتها. ولكن دعنا من ذلك وقُل لي، ما رأيك في هذه الحُلّة التي أرتديها؟ ألا تراها أنيقة؟ أنا أعامل هذا الخيّاط منذ سنوات؛ فهو رجل ظريف جداً وأحسن ما فيه أنه لا يطالبك بما عليك، وأنا مدين له بقدر كبير من المال ولكنه لا يطالبني بشيء. إن ما بيني وبينه لا يكون عادةً إلاّ بين الأصدقاء كالذي بيني وبينك مثلاً. وبهذه المناسبة، ما اسمك؟

- هيستنغز.

- مستحيل! أنا أستطيع أن أقسم أنك صديقي العزيز سبنسر جونس. إنه رجل عظيم، آخر مرّة التقينا فيها اقترضتُ منه خمسة جنيهات. ولكن قُل لي، ألا تشاطرني رأيي في أن الإنسان قد يلتقي بشخصين متشابهين إلى درجة عجيبة؟ أنا لا أزال أعتقد أنك سبنسر جونس على الرغم من تأكيدك لي بأنك تُدْعى هيستنغز! ولكن من المستحيل أن تنكر أنك سبنسر جونس وأنت تعلم أنني مدين لك

بخمسة جنيهات! الدنيا حقاً ملأى بمن يتشابهون.

ثم ضحك وقال: ومن حُسن حظي أنني لن أجد من يخلط بيني وبين أحد الزنوج مثلاً!

وكأنما سرّته تلك النكتة فأخذ يضحك ملء فمه ثم أردف قائلاً: أنا أكره التشاؤم. يجب أن يلتمس الإنسان ما يُضحِك حتى في أشدّ الأمور كآبة وحزناً؛ فما خُلِق الشباب إلاّ للضحك، أمّا إذا بلغتُ السبعين أو الثمانين فيمكنني حينئذ أن أجلس متجهّم الوجه عابساً، وفي تلك السنّ سيكون في وسعي أن أوفّي الخياط دَينه إذا ما مات عمّي.

وعندما ذكر أن عمّه سيموت شاع الابتهاج في وجهه فنظرت إليه كارلوتا من ركن عينيها تؤنّبه على تلك الصراحة الجريئة، ثم نهضت واقفة مزمعة الانصراف فقالت لها جين: أنا شاكرة لك قبولك دعوتي، فأنا أحبّ هذه الاجتماعات الفجائية. هل أنتِ كذلك؟

فقالت الآنسة آدمز بشيء من الخشونة: لا، فمن رأيي دائماً أن أفكّر قبل أن أعمل، وأن أزِن كل خطوة قبل أن أُقدِم عليها. هذا كفيل بأن يجنّبني متاعب جمّة.

فقالت جين: ويسرّني وأنا أودّعك أن أكرّر ثنائي على ما أبديتِ من نبوغ وبراعة في محاكاة شخصيّتي.

فأشرق وجه كارلوتا وقالت: ما ألطفك يا سيدتي! المبتدئات مثيلاتي في حاجة دائماً إلى التشجيع.

فقال صديقها: هيا يا كارلوتا صافحي الأصدقاء الأعزاء

واشكري العمّة جين على دعوتنا للعشاء.

ثم مشى إلى الباب وفي أثره كارلوتا آدمز وشيّعته جين ولكنسون بنظرة عابسة والتفتت إلى أصحابها وقالت: ما أشدّ فظاظته! كيف يلقّبني «العمّة» جين وما التقيت به من قبل، بل لا أعرف حتى اسمه!

فقالت السيدة ودبيرن: لا تكترثي لذلك يا جين؛ والآن اسمحي لنا بالانصراف أنا وزوجي.

ونهضا واقفَين وتبعهما بريان مارتان، والتفتت الممثّلة الكبيرة إلى الشرطي السرّي البلجيكي وقالت: والآن ما رأيك يا سيد بوارو؟

- رأيي في أيّ شيء يا سيدة إدغوير؟

- بالله عليك لا تنادني بهذا الاسم، أريد أن أنسى ذلك الاسم البغيض وإلاّ اعتقدتُ أنك أقسى رجل في أوروبا.

فابتسم بوارو وقال: اعلمي يا سيدتي أن لي قلباً وأن قلبي ليس من حجر.

- أنا أعلم ذلك. إذن فقد اتفقنا على أن تقابل زوجي وتغريه بطلب الطلاق؟

- نعم، سأذهب إلى لقائه يا سيدتي.

- وإذا نجحت شهدتُ لك بأنك أبرع رجل في العالم.

- لست أَعِدُك بشيء يا سيدتي، كل ما في الأمر أنني سأطلب موعداً من زوجك لأنني مولع بدراسة الشخصيات المختلفة

ويسرّني أن أدرس نفسية زوجك.

– افعل ما بدا لك يا سيدي، ادرس نفسيّته كما شئت، ولكن اعلم أن الشيء الوحيد الذي يعنيني هو الحصول على الطلاق. ثم أردفت بلهجة حالمة قائلة: إن زواجي بالدوق مارتون سيكون حديث الأندية والمجتمعات زمناً طويلاً.

* * *

الفصل الثالث
الرجل ذو السنّ الذهبية

بعد بضعة أيام من ذلك الحديث كان الكابتن هيستنغز يتناول الغداء على مائدة صديقه بوارو، فأطلعه بوارو على خطاب من اللورد إدغوير يحدّد فيه موعداً لمقابلة بوارو في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، فقال هيستنغز بشيء من الدهشة: إذن فقد كنت جاداً في وعدك يا صديقي!

- نعم يا صديقي، إنّ بوارو إذا وَعد لم يُخلِف.

- إذن فقد أصبحت تهتمّ بمسائل الطلاق؟

- ليس هذا تماماً، فلو أن اللورد إدغوير كان أعظم لقباً أو أكثر ثروة لما فكّرت في الطلاق منه. إنّ ما يعنيني في هذه المسألة إنما هي الناحية النفسية، فأنا أحبّ أن أدرس اللورد إدغوير عن قرب.

- وهل تعتقد أنك ستفلح في مهمّتك؟

- ولِمَ لا؟ إن لكل منّا نقطة ضعف في خُلقه وآرائه، وسأضع ذكائي ودهائي في الميزان.

فقال الكابتن هيستنغز: إذن فسنذهب غداً في الساعة الحادية عشرة إلى قصر ريغنت.

- نذهب؟ بل أنا الذي سأذهب وحدي يا هيستنغز.

- وحدك؟! أتريد أن تتخلّى عني؟ ألستُ الرفيق الذي اعتاد أن يصحبك إلى كل مكان؟

- لقد اعتدت أن تصحبني في تحقيق الجرائم، ولكننا لسنا الآن أمام جريمة، فأنا ذاهب لأعالج مشكلة شخصية بحتة وليس من اللائق أن أقحمك فيها.

فقال هيستنغز: محال أن أتخلّى عنك يا بوارو حتى وإن تخلّيت أنت عني.

ودخل الخادم في تلك اللحظة يعلن قُدوم أحد الزائرين، ولم يكن ذلك الزائر إلاّ الممثل السينمائي بريان مارتان صديق جين ولكنسون.

واستهلّ الممثل حديثه بقوله: هل أنت مُنْهمِك في العمل يا سيدي؟

- لا، فأنا اليوم عاطل عن العمل.

- أحقاً؟ أنا أخشى أن أكون مصدر مضايقة لك.

- بل على العكس تماماً، فأنا أرحّب بهذه الزيارة يا سيدي.

- إذن أرجوك أن تعيرني سمعك.

- أنا مصغ إليك، هل لديك مشكلة تنشد لها حلاً؟

- نعم، ولا...

وتوقّف بريان مارتان وضحك ضحكة عصبية وبدا عليه التردّد ثم استرسل قائلاً: إنّ القصّة التي سأرويها لك وقعت في بلاد بعيدة، في أمريكا.

- أمريكا؟!

- نعم. كان عملي يدعوني إلى التنقّل بين مختلف البلدان، وفي ذات يوم فطنت إلى وجود رجل ضئيل دميم الوجه حليق اللحية معقوف الأنف، وفي فمه سِنّ ذهبية.

- سِنّ ذهبية؟!

- نعم، وأرجو أن تذكر تلك العلامة. كنت أقول إنني فطنت إلى وجود ذلك الرجل في القطار المسافر إلى نيويورك، وبعد ثلاثة شهور رأيت نفس الرجل ذي السنّ الذهبية وأنا في طريقي إلى لوس أنغلوس فأدهشتني تلك المقابلة الجديدة.

- وماذا بعد؟

- بعد شهر سافرت إلى سياتل، فلم أكَد أهبط فيها حتى رأيت للمرّة الثالثة صاحبنا ذا السنّ الذهبية ولكنه تلك المرّة كان ملتحياً.

- هذا عجيب!

- أجل، ولكنني لم أعلّق على الأمر أهمية كبرى، غير أن الذي أثار ريبتي أنني رأيت نفس الرجل بعد ذلك في لوس أنغلوس حليق اللحية ثم رأيته في شيكاغو وله شارب طويل وحاجبان كثيفان، وكلّما ذهبت إلى مكان وجدته في طريقي متنكّراً في هيئات

مختلفة، ولكنني كنت أميّزه بسهولة بسبب سنّه الذهبية.

- هل حاولت يا سيد مارتان أن تسأله عمّا يدعوه إلى اقتفاء خطواتك؟

- لا، لقد خطر لي مرّة أو مرّتين أن أفعل ذلك ولكنني عدَلت خشية أن أُثير حذره اعتقاداً مني بأن النتيجة ستكون إبداله بغيره فيستحيل عليّ أن أميّزه.

- هذا صحيح، ولا سيّما إذا جاؤوك برجل ليست له تلك السنّ الذهبية! ولكن أخبرني يا سيد مارتان، مَن هؤلاء الذين سيبدّلونه؟

- لا أدري على وجه التحقيق، كل ما في الأمر أنني أعتقد أن هناك شخصاً وراء الستار يحركه ويأمره بتتبع أثري.

- وهل هذا الاعتقاد يرجع إلى سبب مادي معيّن؟

فظهر التردّد على وجه الممثّل ثم قال: لست أدري. لقد وقع لي في إنكلترا منذ عامين حادث قد يكون سبباً في تلك المطاردة، وأنا أسائل نفسي عمّا إذا كانت هناك علاقة بين ذلك الحادث وبين اقتفاء خطواتي، ولقد فكّرت في هذا الأمر طويلاً فلم أهتدِ إلى جواب مقنع.

- يحتمل أن أهتدي أنا إلى هذا الجواب.

وللمرة الثانية ارتسمت دلائل الحيرة على وجه الممثل وقال: إن الصعوبة هي أنني عاجز عن أن أصارحك بما في نفسي، ولكن قد يكون في وسعي بعد يومين أو ثلاثة أن أفضي إليك بكل ما أعلم.

فلمّا رأى بوارو يرميه بنظرة فاحصة قال مُسترسلاً: أنت تفهم أيضاً أن لإحدى الفتيات ضلعاً في الحكاية.

- طبعاً، وهي فتاة إنكليزية. أليس كذلك؟

- وما الذي يجعلك تفترض أنها إنكليزية؟

- الإيضاح هيّن بسيط، أنت تأبى أن تتكلّم الآن ولكنك ترجو أن تتمكّن من الكلام بعد يومين أو ثلاثة، وواضح من هذا أن في نيّتك أن تستأذن الفتاة، وواضح أيضاً أنها تقيم في إنكلترا وإلاّ استغرق الاستئذان أكثر من يومين. ثم لا بدّ أن تكون إنكليزية؛ إذ لو كانت أمريكية ومقيمة في أمريكا لاستطعت أن تقابلها في أثناء مطاردتك لتستفسر منها عن سرّ المسألة، فإقامتها في إنكلترا ثمانية عشر شهراً تُكسِبها الجنسية الإنكليزية حتى ولو لم تكن إنكليزية. ألستُ مصيباً في تعليلي؟

- تماماً، وأنا أهنّئك يا سيد بوارو على دقّة استنتاجك، وسأفضي إليك بكل ما أعلم إذا ما أذنت لي. فهل تعدني بأن تهتمّ بهذه المسألة؟

وساد الصمت برهة قصيرة ثم قال بوارو: ولماذا لجأت إليّ قبل أن تظفر بإذنها؟

فتردّد بريان مارتان برهة ثم قال: لقد أردت أن أستوثق من أنك ستحيط هذه المسألة بالكتمان التام، فإذا ما تأكّدت من ذلك أمكنني أن أقنعها بالاستعانة بك.

فأجابه بوارو بهدوء: الكتمان متوقف على أشياء أخرى.

- ماذا تعني؟

- إذا كان في الأمر جريمة فالكتمان محال.

- يا إلهي! لا! ليس في الأمر جريمة أو شبه جريمة.

- ربما، وعلى أية حال هذا هو اعتقادك أنت.

- مهما يكن الأمر فأنا أعتمد عليك يا سيد بوارو، فهل لك في مساعدتنا؟

- بكل ارتياح.

وفكّر بوارو برهة ثم قال: أخبرني كم يبلغ عمر مطاردك؟

- هو في عنفوان الشباب، وهو فيما أرى في نحو الثلاثين.

فنظر الكابتن هيستنغز إلى صديقه بوارو ولكنه لم يتبيّن ما يرمي إليه صاحبه بالسؤال عن العمر، فقال بريان: يحتمل أن يكون مطاردي أكبر سناً مما أعتقد ولكن هذا ما يتراءى لي.

فهزّ بوارو رأسه وقال: لا يا سيد بريان، أنت مصيب في تقديرك.

وغرق بوارو في خواطره برهة غير قصيرة ولما رفع رأسه بدا عليه أنه لا ينوي أن يوجه أسئلة أخرى إلى جليسه، فأراد بريان أن يغيّر مجرى الحديث فقال: كانت سهرة أمس مبهجة مسلية، إن جين ولكنسون في اعتقادي أشدّ النساء استبداداً.

فقال بوارو باسماً: إنها تعرف ما تريد.

- وتعرف كيف تظفر بما تريد.

فضحك بوارو قائلاً: هذا لأن من السخف أن يقاوم الإنسان إرادة امرأة جميلة، ولو أنها كانت دميمة الوجه لوجدت آلافاً لا

يحفلون بإرادتها ولا يسارعون إلى تلبية رغباتها.

– هذا صحيح، وأضيف إلى هذا أنه على الرغم من صداقتي لها فأنا غير راضٍ عن سلوكها وأفعالها وإن كنت في قرارة نفسي أعتقد أنها غير مسؤولة عمّا تفعل.

– أمّا أنا فأرى أنها ذات نزعة عملية أكثر مما ينبغي.

– أصبت، فالأمر إذا ما تعلّق بمصلحتها الشخصية فإنها لا تتردّد في الالتجاء إلى أية وسيلة للدفاع عن مصالحها. إن مسؤوليتها الخلقية معدومة والشرّ والخير في نظرها لا وجود لهما.

قال بوارو وهو يتأمل محدّثه: أنا أذكر أنك أشرت إلى هذا في الليلة الماضية، لقد قلت إنها قد تقدم على الجريمة إذا...

– أجل، وإذا ما ارتكبت جين جريمة قتل فلن أُدهَش.

فقال بوارو وقد لاحت على وجهه أمارات التفكير: أنت فيما أرى تعرفها حقّ المعرفة، هل اشتركتما معاً في التمثيل كثيراً؟

– نعم، ولكنني كلّما تذكّرتها تخيّلت أنها تهتمّ بقتل إنسان.

– أيكون ذلك وهي في لحظة من لحظات الغضب؟

– لا، بل برباطة جأش وهدوء طبع، فلو أنها تضايقت من إنسان لقتلته بغير تردّد. هي تعتقد أن ارتكاب تلك الجريمة عمل مشروع، مَن يضايق جين ولكنسون يجب أن يختفي.

ونطق بريان بتلك العبارة الأخيرة بمرارة وشرود كأنما يستعيد في ذهنه ذكرى قديمة، فقال له بوارو: هل تعتقد أنها قد تنحدر إلى الجريمة؟

فتنهّد بريان وقال: هذا هو رأيي، وقد يجيء يوم يا سيد بوارو تذكر فيه أنني سبق أن أبديت هذا الرأي.

- أنا أشكر لك كلّ هذه الصراحة.

- هذا لأنني أعرف تلك المرأة منذ أمد طويل، فأنا مِن أعلم الناس بها.

ونهض بريان مارتان واقفاً وهو يقول: أمّا فيما يتعلّق بالمسألة التي جئتك من أجلها فسنعاود الحديث فيها بعد بضعة أيام.

ولما انصرف بريان شيّعه الكابتن هيستنغز إلى الباب فقال له الممثّل السينمائي وهو يصافحه: لقد سألني صديقك الشرطي السرّي عن سنّ الجاسوس الذي يتعقّبني وقد بدا عليه الارتياح حين عرف أنه في الثلاثين من العمر، فهل تدري السرّ في توجيهه ذلك السؤال إليّ وفي ارتياحه للإجابة؟ فأنا في الواقع لم أتبيّن ما يرمي إليه!

- ولا أنا.

- من المحتمل أنه ألقى ذلك السؤال على عواهنه دون نيّة سيئة.

- لا يا صديقي؛ فهيركيول بوارو يَزِن كل كلمة قبل أن تنفرج عنها شفتاه، ومما لا شكّ فيه أن لمسألة السنّ عنده أهمية خاصّة.

- ربما، وإن كان الأمر مبهماً لي.

ولما رجع الكابتن هيستنغز إلى الغرفة قال لصاحبه: ما الذي

جعلك تستفهم عن سنّ الجاسوس الذي يطارد بريان مارتان يا عزيزي بوارو؟

- ألم تفهم غايتي يا عزيزي المسكين؟

ثم ابتسم وأردف قائلاً: ما الأثر الذي تركه حديثنا في نفسك؟

- لا شيء، في الواقع إنّ حديثكما لم يتناول إلاّ القليل.

- ألم يكن هذا القليل كافياً لأن يلهمك بعض الخواطر والآراء؟

ورنّ جرس الهاتف في تلك اللحظة فأنقذ الكابتن هيستنغز من الاعتراف بأنه خالي الذهن من كل ما يشير إليه بوارو، وكان صاحب الحديث الهاتفي هو سكرتير اللورد إدغوير الذي أراد أن يخطر السيد بوارو بأن أمراً طارئاً يدعو إلى وجود اللورد في باريس في صباح اليوم التالي وأنه لهذا السبب مضطرّ إلى السفر اليوم وإلغاء الموعد المتفق عليه بينهما.

واستطرد السكرتير قائلاً: ولكن اللورد على استعداد لأن يخصّك يا سيد بوارو ببضع دقائق الآن قبل سفره عند الظهر تماماً إذا سمح وقتك بذلك.

فقال بوارو مجيباً: لا بأس، سآتيه على الفور.

ثم ردّ السمّاعة إلى مكانها والتفت إلى صديقه الكابتن هيستنغز وقال: نحن ذاهبان الآن إلى مقابلة اللورد إدغوير.

* * *

الفصل الرابع
المقابلة

كان اللورد إدغوير قد تخطّى الخمسين من العمر وإن كان لا يزال يحتفظ بشعره الأسود وهيئته التي تنمّ عن القوّة والصلابة. وحين دخل عليه بوارو وصاحبه الكابتن هيستنغز نهض واقفاً خلف مكتبه ودعاهما إلى الجلوس بتأدّب لا حرارة فيه ولا ترحيب، وبسط في يده الخطاب الذي أرسله إليه بوارو قائلاً: أنا لا أجهل اسمك يا سيد بوارو، والواقع أنه ليس هناك من لا يعرف الشرطي السرّي الشهير. لكنني أعترف بأنني أجهل غرضك من هذه المقابلة، فقد أخبرتني في خطابك أنك ترغب في مقابلتي من قِبَل... زوجتي.

وقد نطق بالكلمة الأخيرة ببطء كأنما يجد صعوبة في ترديدها فأجابه بوارو بقوله: هذا صحيح.

- ولكن عهدي بك يا سيدي أنك لا تهتمّ إلا بالجرائم أو ما يتصل بها.

- أنا أهتمّ يا لورد إدغوير بالمشكلات على اختلاف أنواعها، فهناك مشكلات إجرامية وهناك مشكلات ذات طبيعة أخرى.

- أحقاً؟! وما طبيعة المشكلة التي نحن بصددها؟

وكان صوته مليئاً بالسخرية والتهكّم إلى درجة أغاظت الكابتن هيستنغز على حين لبث بوارو جامداً لا يبالي، فاسترسل بوارو قائلاً بهدوء: لقد أوفدتني إليك السيدة إدغوير لأخبرك بأنها راغبة في الطلاق وقد أنابتني عنها في مباحثتك في هذه المسألة.

- يا سيدي هذه مسألة لا تحتمل مباحثة.

- إذن فأنت ترفض؟

- أنا لا أرفض، بل إنني مثلها راغب في الطلاق.

فبدت الدهشة على وجه بوارو وقال بذهول: أنت أيضاً راغب في الطلاق؟!

- إن دهشتك يا سيد بوارو تثير عجبي.

- أتريد أن تقول إنك مستعدّ لأن تطلّق زوجتك؟

- طبعاً، وهي تعرف ذلك بجلاء؛ فقد كتبتُ إليها رسالة بهذا المعنى منذ ستة شهور.

فقطب بوارو جبينه قائلاً: هذا غريب؛ كنت أعتقد أنك عدوّ الطلاق.

- إن رأيي في الطلاق يا سيد بوارو لا يهمّ سواي. أنا لا أنكر أنني رفضتُ طلاق زوجتي الأولى لأن ضميري لا يرضاه، وهذا هو ما دعاني إلى أن أُصِرّ على عدم تطليق زوجتي الثانية حينما طلبت منّي ذلك على الرغم من يقيني أن زواجنا كان فاشلاً غير موفَّق، ولكنها عاودت الإلحاح منذ ستة شهور وأخذت ترجوني بأن أعيد

النظر في قراري. وأظنها تنوي أن تقترن بأحد ممثّلي السينما، وفي ذلك الوقت كانت وجهة نظري قد تغيّرت فكتبت خطاباً أرسلته إليها في هوليود أخبرها فيه بموافقتي على الطلاق. ولهذا يدهشني أن توفدك إليّ! فهل أفهم من ذلك أنها عهدت إليك بأن تباحثني في المسألة من الوجهة المالية؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة هازئة فقال بوارو بصوت خافت كأنما يخاطب نفسه: هذا عجيب، إنّ في الأمر لغزاً!

واسترسل اللورد إدغوير قائلاً: لقد هجرتني زوجتي من تلقاء نفسها، وإذا طاب لها أن تتزوّج مرة أخرى فهذا شأنها ولكنني لا أرى ما يدعوني إلى أن أعطيها جنيهاً واحداً.

- ولكنها لم تفكّر في أن تسألك مالاً.

فقطب اللورد إدغوير جبينه وقال بتهكّم: إذن فستقترن برجل من الأغنياء!

وغمغم بوارو يسأله: الأمر لا يزال غامضاً. ألم تحاول السيدة إدغوير أن تباحثك في أمر الطلاق بواسطة بعض المحامين؟

- بلى، فقد تلقّيتُ مجموعة من الرسائل في هذا الشأن من نفر من المحامين ما بين أمريكيين وإنكليز، وفي النهاية كتبت هي إليّ بنفسها رسالة خاصّة.

- وهل كنت لا تزال كارهاً للطلاق حتى ذلك الوقت؟

- نعم.

- ولكنك غيّرت رأيك حين تلقيت رسالة زوجتك.

– رسالتها لم تكن سبباً في عدولي عن رأيي، وكلّ ما في الأمر أن وجهة نظري تغيّرت.

– وما الظروف التي دعت إلى ذلك التغيير؟

– هذا أمر يخصّني وحدي يا سيد بوارو. يمكنك أن تقول مثلاً إنني أدركت أخيراً المزايا التي تعود عليّ من فَصْم ما يربطني بامرأة أراها أدنى مكانة منّي، لقد كان زواجي الثاني غلطة كبيرة.

فقال بوارو في نفسه: إن السيدة إدغوير تردّد هذا الكلام بعينه حقاً!

وتألّقت عينا اللورد ثم نهض واقفاً إيذاناً بانتهاء المقابلة وقال: معذرة عن إلغاء موعدنا السابق؛ إذ يجب أن أكون في باريس غداً.

– لا داعي للاعتذار مطلقاً.

– يجب أن أحضر مزاداً لأبتاع تمثالاً معيّناً يهمّني أن لا يفلت من يدي؛ فهو تحفة نادرة تمثّل الموت يجرّ الناس وراءه جرّاً إلى الدمار، إلى النهاية الأبدية... أنا أحبّ هذا الخيال!

وارتسمت على شفتيه ابتسامة رهيبة قاسية، وأدرك الكابتن هيستنغز وهو يرى تلك الابتسامة السرّ في أن السيدة إدغوير تشعر بأنها تخاف زوجها وتفزع منه، فهي ابتسامة مليئة بالشرّ والقسوة حتى كأن صاحبها شيطان مَريد!

ودقّ اللورد إدغوير الجرس، فلمّا جاء الخادم أمره بأن يرشد ضيفيه إلى الباب، وقبل أن يتخطّوا عتبة القاعة استدار الكابتن هيستنغز قليلاً وأرسل بصره إلى اللورد فأدهشه ما رأى من انقلاب

سحنته، فقد كانت عيناه تتألّقان ببريق الغضب وقد تباعد فَكّاه كأنه حيوان يهمّ بالوثوب على فريسته.

وعندما أخذوا يعبرون البهو فُتح باب إحدى الغرف وظهرت على عتبته فتاة نحيفة سوداء الشعر شاحبة الوجه، فوقفت هناك برهة مرسِلة بصرها إلى ضيفَي أبيها ثم ارتدّت إلى غرفتها على عجَل وأغلقت الباب.

* * *

في الطريق إلى فندق سافوي أسند بوارو رأسه إلى مسند السيارة وأغمض عينيه قائلاً: لم تجرِ المقابلة على الطريقة التي كنت أتصوّرها.

- وما رأيك في اللورد إدغوير؟ ألست تراه ذا شخصية شاذّة؟

ثم أخذ الكابتن هيستنغز يصف لصاحبه ما رآه من انقلاب سحنة اللورد فهزّ بوارو رأسه وقال: إنه كما تقول يا هيستنغز، رجل عجيب وبروده الظاهري يخفي وراءه قسوة عميقة، ولا يدهشني الآن أن زوجتَيه لم تطيقا عشرته.

- ألم ترَ يا بوارو تلك الفتاة التي وقفت بباب إحدى الغرف ونحن نهمّ بالخروج؟

- لقد رأيتها، وسحنتها تدلّ على أنها خائفة وغير سعيدة.

- ترى مَن تكون؟

- ابنته بلا شكّ؛ فأنا أعلم بأن له ابنة وحيدة.

ولما صعدا إلى جناح جين ولكنسون في فندق سافوي استقبلتهما وصيفتها أليس، وهي امرأة متقدّمة في السنّ ذات شعر أشيَب وعلى عينيها نظارة، وقبل أن تجيب الوصيفة على سؤال بوارو عن سيّدتها ارتفع صوت جين من داخل غرفة النوم وهي تقول: أليس، أهذا هو السيد بوارو؟ فليتكرّم بانتظاري لحظة واحدة.

وبعد قليل أقبلت جين ترتدي ثوباً جميلاً وهي تقول: هل كل شيء على ما يرام؟

فنهض بوارو قائلاً: نعم يا سيدتي، كل شيء على ما يرام، لقد رضي اللورد إدغوير بالطلاق.

- ماذا تقول؟!

وقرّر بوارو في نفسه أنه إذا كانت الدهشة التي ظهرت على وجهها في تلك اللحظة صادقة فهذا معناه أن جين ولكنسون ممثّلة بارعة!

واستأنفت قائلة: إذن فقد أفلحت يا سيد بوارو، وبمثل هذه السرعة العجيبة! أنت رجل مدهش. ولكن كيف تمكّنت من إقناعه؟

- أنا لا أستحقّ من ثنائك كلمة واحدة يا سيدتي؛ فقد مضت ستة شهور منذ كتب إليك زوجك يخبرك بأنه عدل عن المعارضة في الطلاق.

- ماذا تقول؟! هل كتب إليّ زوجي؟ متى كان ذلك؟

- في أثناء رحلتك في هوليوود.

- ولكنني لم أتسلّم تلك الرسالة. لا شكّ أنها فُقدت. يا إلهي! تصوّر أنه موافق على الطلاق وأنا أمزّق شعري حسرةً واعتقاداً أنه يأباه.

- اللورد إدغوير يعتقد أنك ستقترنين بأحد الممثّلين.

- هذا طبيعيّ لأنني أنا التي زعمت له ذلك.

ثم ارتسمت على وجهها دلائل القلق وقالت: هل أخبرته يا سيد بوارو بأنني سأقترن بالدوق؟

- بالطبع لا؛ أنا كتوم فكوني مطمئنة. ولكن ما الذي يدعوك إلى الكتمان؟

- إن اللورد رجل شرّير ولو علم أنني سأتزوّج الدوق مارتون سيرفض أن يطلّقني نكاية بي ليقينه أن زوجي الجديد أعلى مكانة منه وأوفر غنى وأنها زيجة رابحة بالنسبة لي، أمّا إذا كان في نيّتي أن أتزوّج ممثلاً فهذا شيء آخر. ولكن موافقته على الطلاق تدهشني؛ فقد كان رافضاً بشدّة!

ثم التفتت إلى وصيفتها قائلة: ألا تشاطرينني هذه الدهشة يا أليس؟

- بلى يا سيدتي، لا شكّ في أن سيدي اللورد تغيّر كثيراً عمّا كنا نعهد.

- طبعاً، طبعاً.

فقال بوارو: إذن فقبوله الطلاق أمر يدعو إلى الدهشة؟

- بكل تأكيد يا سيدي، ولا يهمّني أن أتبيّن الدافع الذي

حمله على الموافقة بعد أن كان مُصِرّاً على الرفض، حسبي منه أنه رضي بالطلاق.

فقال بوارو بهدوء: أمّا أنا فيهمّني أن أعرف هذا الدافع.

فضحكت جين ولكنسون وقالت: هذا شأنك أنت، أمّا أنا فلا يهمني إلاّ أن أعرف أنني أصبحت حرّة طليقة.

- ولكنك لم تصبحي بعد.

فهزّت كتفيها بغير اكتراث قائلة: سأصبح حرّة على أيّ الأحوال بعد فترة من الوقت وبعد اتخاذ الإجراءات اللازمة. ثم أردفت قائلة: إن الدوق في باريس وسأرسل إليه فوراً بالخبر السعيد.

فنهض بوارو واقفاً وهو يقول: أنا سعيد يا سيدتي لأن الأمور انتهت إلى ما تريدين.

- إلى اللقاء يا سيد بوارو، وأنا شاكرة لك ما فعلت.

- ولكنني لم أفعل شيئاً.

- لقد سَبقتَ إلى الخبر السعيد وهذا فضل لا يُنسى.

وعندما سار بوارو في الطريق التفت إلى صاحبه الكابتن هيستنغز وقال: لقد صدق مَن قال إن تلك المرأة لا تفكّر إلاّ في نفسها. كل شيء في الدنيا متركّز فيها ولا يعنيها إلاّ ما يتصل بها شخصيّاً. هي لا تهتمّ حتى بأن تعرف السبب في عدم وصول خطاب زوجها إليها! ألم تحاول يا هيستنغز أن تدرس عقلية تلك المرأة؟ إنها داهية ولكنها في الوقت نفسه مجرّدة من الذكاء. والآن

فلنتحوّل يا صديقي إلى اليمين لنتمشّى قليلاً على ضفاف التايمز حتى يتسنّى لي أن أجمع خواطري وأنسّق أفكاري.

ومشى الصديقان صامتَين إلى أن قطع بوارو حبل الصمت بقوله: إن لغز الخطاب المفقود يحيّرني ويدهشني، ولديّ في تعليل ما حدث أربعة وجوه.

- أربعة؟!

- نعم. أولاً من المحتمل أنه ضاع في البريد، وهذا أمر غير مستحيل الوقوع ولكنه نادر جداً. فإذا كان العنوان غير واضح فالمفروض أن يعاد الخطاب إلى اللورد إدغوير منذ وقت طويل، ولكنني أفضّل أن أستبعد هذا الاحتمال وإن لم يكن مستحيلاً أن يكون هو الحقيقة بعينها. أمّا الاحتمال الثاني فهو أن صاحبتنا الحسناء تكذب، وإذا ذكرنا أنها ممثلة قديرة لم نستغرب تظاهرها بالدهشة من حكاية الخطاب. وإن كنت لا أدري على وجه التحقيق مصلحتها في الكذب، فما دامت تشتهي الطلاق فكيف تنكر أن خطاباً وصلها من زوجها بموافقته على هذا الطلاق الذي تتمنّاه؟ أمّا التعليل الثالث فهو أن اللورد إدغوير هو الذي يكذب. وللمرة الثانية أعترف بأنني لا أدري الغاية من تلك الأكذوبة، فما الذي يدعوه إلى أن يزعم أنه أرسل إلى زوجته منذ ستة شهور خطاباً بالموافقة على الطلاق؟ هذا تحايل لا داعي له وقد كان في وسعه أن يصارحني بأنه يرفض أو يقبل دون الالتجاء إلى أكذوبة الخطاب. والآن فلننتقل إلى الاحتمال الرابع. هناك شخص استولى على الخطاب وحال دون وصوله إلى صاحبته، وإذا كان هذا الفرض صحيحاً فالأمر سيؤدّى بنا إلى أبحاث طريفة، فمَن الذي حجز الخطاب؟ وما مصلحته في هذا الحجز؟ وهل وقع الحجز في أمريكا أم في إنكلترا؟

وساد الصمت برهة قصيرة ثم قال بوارو بلهجة جدّية: مما لا شكّ فيه أن الشخص الذي حجز الخطاب له مصلحة في عرقلة زواج ولكنسون بالدوق مارتون. ترى مَن يكون ذلك الشخص؟ إن المسألة يا هيستنغز وشيكة بأن تتمخّض في اعتقادي عن شيء جسيم.

ثم هزّ رأسه وأردف ببطء قائلاً: شيء جسيم قد يؤول إلى عواقب أشدّ جسامة وخطورة مما قد يتصوّر المرء للوهلة الأولى.

* * *

الفصل الخامس
الجريمة

في منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ذهب المفتش غوبي من رجال اسكتلنديارد المعروفين إلى بيت الشرطي السرّي البلجيكي بوارو طالباً مقابلته. والتفت بوارو إلى صاحبه الكابتن هيستنغز وقال: تُرى ما الذي يدعو غوبي إلى تشريفنا بهذه الزيارة؟

- لا شكّ أنه جاء يسألك المشورة كشأنه كلّما استعصت عليه المعضلات.

واسترسل الكابتن هيستنغز يرمي باللوم على صديقه بوارو لتساهله ولِينه وإفساحه صدره لغوبي وأمثاله يستعينون بذكائه لإماطة اللثام عمّا يجابههم من مشكلات وألغاز ولكنه مع ذلك يظلّ وراء الستار لا يدري أحد بالجهد الذي بذله وينسبون المجد كلّه لأنفسهم.

فابتسم بوارو وهو يصغي إلى كلمات صديقه وقال: عليك أن تذكر يا عزيزي هيستنغز أن غوبي مضطرّ إلى إنقاذ المظاهر، فبصفته من رجال الشرطة الرسميين يجب أن يكتم عن كل إنسان

أنه استعان بشرطيّ غير رسميّ وإلاّ كان في هذه الاستعانة حطّة من قدره ومنقصة لذكائه، وحسبي إرضاء لنفسي أن أعلم أن في كل استعانة بي اعترافاً صريحاً بأنني أعلى قدراً وأوفر ذكاء.

وانقطع الحديث بدخول المفتش غوبي، وبعد تبادل التحية قال بوارو: لا شكّ أن الذي دفعك إلى هذه الزيارة المبكّرة يا عزيزي غوبي أمر خطير.

- هو ما تقول، لقد جئتك بصدد جريمة قتل.

- جريمة قتل؟!

- نعم، لقد قُتل اللورد إدغوير مساء أمس في قصر ريغنت، قتلته امرأته بطعنة مدية في رقبته.

فصاح الكابتن هيستنغز بدهشة قائلاً: امرأته؟!

واستعاد إلى ذهنه كلمات بريان مارتان في صباح اليوم السابق واعتقاده بأن جين ولكنسون لا تحجم حتى عن ارتكاب جريمة القتل، ثم ذلك الحديث الذي جرى بين جين وبوارو وكيف طلبت منه أن يخلّصها من زوجها بأيّ ثمن وبأيّ شكل.

- نعم، امرأته هي التي قتلته، وهي ممثّلة معروفة تُدْعى جين ولكنسون، وقد تمّ زواجهما منذ ثلاثة أعوام ولكنها ما لبثت أن هجرته.

فقال بوارو متسائلاً: ومَن الذي أوحى إليك بأن زوجته هي التي قتلته؟

- ليس في الأمر إيحاء أو افتراض لأنه حقيقة ثابتة، فقد

رأوها وهي تدخل القصر قُبيل وقوع الجريمة، وليس من العسير استنتاج الباقي. وصلت إلى القصر في إحدى السيارات المأجورة في الساعة العاشرة مساءً وطلبت مقابلة اللورد إدغوير، فأجابها الخادم بأنه سيذهب لإخطار مولاه فقالت له: "لا داعي لذلك؛ فأنا زوجة إدغوير. أظنّه في قاعة المكتبة، أليس كذلك؟". ثم ذهبت مباشرة إلى القاعة ففتحت الباب ودخلت ثم أغلقته خلفها ورجع الخادم إلى غرفته، وبعد عشر دقائق سمع الباب الخارجيّ وهو يوصَد فأدرك أنها انصرفت. وفي نحو الساعة الحادية عشرة طاف الخادم بالبيت ليغلق الأبواب والنوافذ، فلمّا مَرّ بقاعة المكتبة وجدها مظلمة فظنّ أن سيّده أوى إلى فراشه. وفي صباح اليوم اكتشفت إحدى الخادمات الجثة في قاعة المكتبة وفي العنق جرح مميت.

- هل سمع أحد شيئاً؟ صرخة مثلاً؟

- لا؛ فباب القاعة مبطَّن بالقُطن فضلاً عن أن ضجيج السيارات في الطريق يطغى على أيّ صرخة، هذا إلى أن الطعنة أصابت من الرقبة موضعاً خطراً، فقد أصابت النخاع الشوكي، والطعنة في مثل ذلك الموضع تسبب الموت في الحال، ولم يكن هناك مجال في الغالب للصراخ أو الاستنجاد.

- هذا معناه أن القاتل على علم بشيء من التشريح الطبّي.

- هذا صحيح وهذه نقطة في صالح المرأة؛ إذ المفروض أنها تجهل مثل هذه المعلومات الفنّية. ولكن يُحتمَل من ناحية أخرى أن الأمر جاء عفواً فأصابت بطعنتها ذلك الموضع دون أن تدري أنها الطعنة المنشودة.

- ولكن الشيء الذي يدهشني يا عزيزي غوبي أن تذهب

السيدة إدغوير إلى قصر زوجها فتعلن اسمها على مسمع من الخدم ثم تدخل القاعة فترتكب جريمتها، وقد كان مِن الأَولى بها أن تتستّر على شخصيتها!

- من المحتمل أنها لم تقابل زوجها بنيّة قتله ولكن النقاش احتدم بينهما فتناولت مديتها وقتلته.

- مدية؟!

- نعم، فقد قرّر الطبيب أن السلاح الذي ارتُكبت به الجريمة دقيق يشبه شفرة المدية. ومهما يكن من أمر فنحن لم نعثر عليها لأنها أخذتها معها.

فهزّ بوارو رأسه قائلاً: أنت مخطئ يا عزيزي فيما تذهب إليه، أنا أعرف السيدة إدغوير وأعتقد أنها لا يمكن أن تقدِم على أيّ عمل وهي في سَورة غضبها، وليس معقولاً من ناحية أخرى أن تحمل مدية في حقيبتها ما دام القتل لم يكن في نيّتها، والنساء عادةً لا يحملن المُدى.

- إذن فأنت تعرفها يا سيد بوارو؟

- حق المعرفة.

وساد الصمت برهة وجعل غوبي يتفرّس في بوارو ثم قال فجأة: إن في ذهنك شيئاً يا سيد بوارو.

- أجل، هذا صحيح. ولكن ما الذي دعاك إلى زيارتي؟ إن لديك جريمة قتل وقد اكتشفتَ القاتلة والدافع في الغالب، فماذا تريد أكثر من ذلك؟ ثم ما الدافع الذي دفعها للقتل في نظرك؟

- إن جين ولكنسون ترغب في الاقتران برجل آخر وقد صرّحت بذلك منذ أيام أمام نفر من أصدقائها، ويبدو أن بعض كلمات التهديد قد جرت على لسانها حتى ليقال إنها لن تتردّد في قتل زوجها إذا أصرّ على عدم الطلاق.

- يبدو يا عزيزي غوبي أن مَن زوّدك بالمعلومات قد أحسن تزويدك!

- لقد عرفت أشياء كثيرة يا سيد بوارو.

وتناول بوارو صحيفة كانت تطلّ من جيب المفتش فنشرها وأجرى عينيه بين سطورها، وكانت أمارات التفكير بادية في وجهه ثم قال: أنت لم تُجِب على سؤالي بعد، ما الذي دعاك إلى زيارتي؟

- لأنني علمت أنك زُرت اللورد ظهر أمس، فقلت لنفسي ما الذي يدعو اللورد إدغوير إلى استدعاء السيد بوارو! ورأيت قبل أن أتخذ خطوة حاسمة أن أبادر إلى زيارتك لأستفسر منك عن سرّ تلك المقابلة.

- ما معنى قولك: "قبل أن أتخذ خطوة حاسمة"؟ أتريد أن تقول إنك لم تقبض على القاتلة بعد؟

- نعم، وإن كنت قد ذهبت على الفور لمقابلتها في فندق سافوي، إذ لم يكن في وسعي أن أدَعها تفلت من يدي.

فبدا الاهتمام على وجه بوارو وقال: وماذا قلت لها؟

- وجّهتُ إليها الأسئلة المألوفة وطلبت منها أن تُعِدّ شهودها فكان جوابها أن الشرطي الإنكليزي لا يحسن التصرّف!

فضحك بوارو وقال: هي مخطئة في هذا الرأي.

- ثم استولت عليها نوبة عصبية حادّة جعلتني أؤمن على الفور بأنها ممثلة نابغة.

- إذن فأنت تعتقد أن تلك النوبة كانت مفتعلة؟

- وهل يمكن أن يخطر ببالك شيء غير هذا يا سيد بوارو؟

- وماذا بعد ذلك؟

- تظاهرت بأنها غابت عن صوابها فلم أحاول أن أسعفها بشيء من الأملاح ولا أن أنضح وجهها بالماء البارد لعلمي بأن إغماءها غير حقيقيّ، فاضطرّت بطبيعة الحال إلى أن تفيق من تلقاء نفسها بعد بضع دقائق، ثم أخذت تبكي وتعول فأسرعت إليها خادمتها بالأملاح المنعشة، ثم طلبت محاميها وصارحتني بأنها لن تتكلّم إلاّ في حضرته. فهل تعتقد يا عزيزي بوارو أن المرأة التي تفيق من إغماء حقيقيّ يمكن أن تفكّر في طلب أحد المحامين؟

- هذا طبيعيّ في مثل تلك الظروف.

- أتريد أن تقول إن من الطبيعي أن تطلب محامياً ما دامت متّهمة؟

- بل أريد أن أقول شيئاً آخر هو أن امرأة مثلها لا تحبّ زوجها وتنشد الطلاق منه وقد بلغها فجأةً أن زوجها قُتل فليس من اللائق أن تبتسم وتضحك، بل المعقول أن تتظاهر بالحزن صوناً للرسميات. ونوبة الإغماء التي أصابتها مغالاة منها في هذا التظاهر، وإذا ما أفاقت وكفّت عن تظاهرها فمن الطبيعي أن تفكّر في نفسها وفي الاستعانة بأحد المحامين. إذن فنوبة الإغماء الكاذبة

ليست دليلاً على ارتكابها الجريمة بل هي موقف طبيعيّ لا غبار عليه بالنسبة لزوجة تكره زوجها وتريد أن تكتم كرهها في مثل تلك اللحظة الدقيقة.

فقال المفتش غوبي: أنا أستطيع أن أُقسِم أنها هي القاتلة.

- هذا محتمل، ولكنني أرى أن هذا الحكم سابق لأوانه ما دامت لم تعترف بشيء.

- لقد حاولتُ أن أحملها على الكلام فأبت إلاّ أن يحضر محاميها، وقد تركت اثنين من رجالي في حراستها وحضرت إليك فقد يكون فيما لديك من المعلومات ما يؤيد التّهمة ضدّها.

فقال بوارو مبتسماً: إذا كنت تريد دليلاً ضدّها فهاك الدليل.

وأومأ بإصبعه إلى فقرة في الصحيفة التي تناولها من جيب غوبي فقال غوبي وقد أشرق وجهه: أحقاً؟ أرني إذن.

فقرأ في الصحيفة ما نصّه: «أقام السير مونتاغو كورنر مساء أمس مأدبة شائقة في قصره الجميل في شيسويك المطلّ على نهر التايمز، وقد رأينا بين المدعوين السير جورج والسيدة ديفس والسيد جيمس بلانت الناقد المسرحي المعروف والسير أوسكار همرفيلد مدير شركة أوفرتون السينمائية والسيدة جين ولكنسون زوجة اللورد إدغوير».

فقطب المفتش غوبي جبينه ثم قال: وليكن، فمثل هذه الأنباء تُرسَل إلى الصحف عادة قبل إقامة المأدبة، وسترى فيما بعد أن السيدة إدغوير لم تحضر تلك المأدبة.

- هذا جائز طبعاً، ولكنني أريتك تلك الفقرة بدافع من الفضول.

فقال المفتش غوبي: ولكنك لم تُجِب على سؤالي بعد يا سيد بوارو. لماذا استدعاك اللورد إدغوير أمس؟

- هو لم يستدعِني.

فاتسعت عينا المفتش غوبي دهشة وقال: ماذا تقول؟! أتنكر أنك قابلته أمس وقد شُهِد بذلك و...؟!

فقاطعه بوارو بهدوء قائلاً: أنا لم أنكر شيئاً يا عزيزي غوبي، بل قلت لك إن اللورد إدغوير لم يستدعِني؛ إذ الواقع أنني أنا الذي سألته موعداً.

- حقاً؟! ولماذا؟

فسكت السيد بوارو برهة ثم قال: سأجيب على سؤالك ولكن على طريقتي الخاصّة، هل تسمح لي بأن أدعو هاتفيّاً شخصاً معيّناً إلى الحضور؟

- ومَن هو؟

- السيد بريان مارتان.

- ممثّل السينما المشهور؟ ولكن ما شأنه فيما نحن بصدده؟

- سترى هذا فيما بعد.

وطلب بوارو من صديقه الكابتن هيستنغز أن يتصل هاتفيّاً بممثّل السينما ليخبره بأن اللورد إدغوير قُتل مساء أمس وأن السيد

بوارو يرجوه أن يحضر لمقابلته على الفور.

ولما انتهى الحديث الهاتفي قال بوارو يسأل الكابتن هيستنغز: ماذا كان جوابه عندما سمع الخبر؟

- لقد هتف قائلاً: يا إلهي! إذن فقد قتلته! سأحضر على الفور.

فقال بوارو: «فقد قتلته»... هذا ما كنت أتوقّعه.

فحملق فيه غوبي بدهشة قائلاً: إن أمرك يحيّرني يا عزيزي بوارو! في البداية كنت تدافع عن جين ولكنسون، والآن أفهم من قولك أنك كنت تتوقّع منها أن تقدِم على تلك الجريمة!

فلبث بوارو صامتاً ولم يَزِد على أن ابتسم.

* * *

الفصل السادس
الأرملة

بعد عشر دقائق وصل بريان مارتان شاحب الوجه ممتقع اللون تنمّ سحنته عن الإعياء والتعب كأنما نال منه الخبر الأليم، وقال وهو يصافح بوارو: يا لها من مأساة يا سيد بوارو! لقد أزعجتني وملأتني أسى. أتذكر حديثي معك أمس؟ كنت أتوقّع هذه الفعلة!

- أنا أذكر طبعاً كل كلمة من كلماتك. دعني أقدّم إليك المفتش غوبي الذي يتولى تحقيق هذه الجريمة.

فتمتم الممثّل معاتِباً يقول لبوارو: كان ينبغي أن تخبرني بذلك من أوّل الأمر حتى لا يجري لساني أمامه بمثل هذه الكلمات.

وحيّا المفتش ببرود ثم جلس وهو يقول: ولكن لماذا دعوتني إلى مقابلتك وأنت تعلم أن هذا الحادث لا يعنيني في شيء؟

فقال بوارو: أنت مخطئ في هذا يا سيّدي؛ فأمام أمثال هذه الحوادث علينا أن ننسى المجاملات الشخصية، ومصلحة العدالة مقدَّمة على كل شيء.

- ولكنك تعلم أن جين صديقة لي وقد ظهرنا معاً في أفلام

كثيرة ومعرفتي بها وثيقة.

فقال بوارو بصوت جافّ: ولكنك رغم تلك الصداقة ما كدتَ تسمع أن اللورد إدغوير قُتل حتى وقع في نفسك بغير تردّد أنها هي التي قتلت زوجها.

فقال الممثل بما يشبه الفزع: ولكن أليست هي القاتلة؟

فتدخل غوبي وقال: بل هي القاتلة يا سيد مارتان.

فتمتم مارتان قائلاً: يا إلهي! لقد ارتكبتُ غلطة فاحشة بما جرى على لساني.

فقال بوارو معترضاً: في مثل هذه الشؤون يا سيدي يجب تغليب العدالة على العواطف الشخصية.

- ولكن...

- اسمع يا صديقي، أتريد أن تدافع عن امرأة متّهمة بجريمة قتل؟

فشهق بريان مارتان وقال: ولكنها ليست قاتلة عاديّة، فهي لا تدرك معنى الخير أو الشرّ، إنها غير مسؤولة عمّا تفعل!

- هذه مسألة موكولة إلى رأي المحلّفين، ومع ذلك فلست أنت الذي توجّه التهمة إلى جين لأن التهمة موجَّهة إليها من قبل، ومهمّتك قاصرة على الإدلاء بما لديك من معلومات وهذا واجبك حيال العدالة والقانون.

فتنهّد الممثل بيأس وقال: أنت على صواب فيما تقول، فما الذي تريده منّي؟

فنظر بوارو إلى المفتش غوبي يدعوه إلى أن يوجّه إلى مارتان ما شاء من الأسئلة فقال: أسمعت جين ولكنسون تتحدّث بما يُفهَم منه التهديد لزوجها؟

- نعم، وأكثر من مرّة قالت إنه إذا رفض الطلاق فستجد نفسها مضطرّة إلى التخلّص منه بطريقة ما.

- لعلها كانت تمزح.

- لا! أنا موقن من أنها كانت جادّة، فقد قالت منذ يوم أو يومين إنها ستذهب إليه لتقتله بنفسها.

- نحن نعلم أنها تنشد الطلاق لتتزوّج مرة أخرى، فهل تعرف بمن تنوي أن تتزوّج؟

- نعم، بالدوق مارتون.

- الدوق مارتون! يا إلهي! إنها طموحة فيما أرى. وهل كان زوجها غير راغب في الطلاق؟

- بل هو من أشدّ أعداء الطلاق.

- أموقن أنت من ذلك؟

وهنا تدخّل بوارو في الحديث قائلاً: الآن جاء دوري في الكلام. لقد عهدت إليّ السيدة إدغوير أن أباحث زوجها في مسألة الطلاق، فتحدّد بيننا موعد للقاء اليوم.

فهزّ بريان مارتان كتفيه وقال: إنها مباحثة عقيمة غير مجدية؛ فمن المحال أن يرضى إدغوير بالطلاق.

- أتعتقد ذلك حقاً؟

- كل الاعتقاد، لقد حاولت جين نفسها أن تغريه بقبول الطلاق فأبى.

فلمعت عينا بوارو وقال وهو يبتسم: أنت مخطئ في هذا يا صاحبي؛ لقد قابلت اللورد إدغوير أمس فوجدته على استعداد للطلاق.

فارتسمت أمارات الذهول على وجه بريان مارتان وقال: قابلته أمس؟!

- نعم، في الساعة الثانية عشرة والربع.

- وهل رضي بالطلاق؟!

- نعم، رضي بالطلاق!

- كان ينبغي إذن أن تخطر جين على الفور.

- لقد أخطرتها يا سيد مارتان.

فصاح مارتان وغوبي بصوت واحد قائلَين: أخطرتها؟!

فابتسم بوارو للمرّة الثانية وقال: نعم أخطرتها. هل يُفزعك يا عزيزي غوبي أن ترى دافع الجريمة الذي اكتشفتَه ينهار بمثل هذه السهولة؟ والآن دعني يا سيد مارتان أطلعك على شيء طريف.

وقدّم إليه الصحيفة مشيراً إلى الفقرة الخاصّة بالمأدبة التي أقامها السير مونتاغو، فلمّا قرأها بريان قال: أتعتقد يا سيد بوارو أن تلك المأدبة تصلح دليل نفي؟ أظنّ أن اللورد إدغوير قُتل في المساء.

- أجل، بطعنة مدية.

فطوى مارتان الصحيفة ببطء ثم قال: هذا لا يغيّر وجه المسألة؛ فأنا أعلم أن جين لم تحضر تلك المأدبة.

- وكيف عرفت ذلك؟

- قيل لي.

فتمتم بوارو قائلاً: هذا أمر يؤسَف له.

فأرسل المفتش غوبي بصره إليه وقال بفضول: أنت تحيّرني يا سيد بوارو! هل أفهم من ذلك أنك تكره أن توجه التهمة إلى تلك المرأة؟

- لا يا عزيزي، كل ما في الأمر أن الوضع يبدو في نظري غير متّفق مع أبسط ما يوحي به الذكاء.

- وكيف لا يتّفق مع الذكاء؟ إنه على الأقلّ متّفق مع ما يوحي به ذكائي.

وكان الجواب المعقول أن يقول بوارو بغير إبهام أو مواربة إنه يعرف أن المفتش غوبي مجرَّد من الذكاء، ولكنه آثر أن يكتم هذا فقال: هذه امرأة تريد أن تتخلّص من زوجها ولا تتردّد في أن تصارح أصدقاءها بنيّتها هذه بهدوء وبغير غضب، وكلّما لقيت أحداً صارحته بأنها اعتزمت أن تقتل زوجها. وفي ذات ليلة تذهب إلى بيته وتعلن اسمها بملء صوتها ثم تدخل إلى زوجها فتقتله وتخرج! فبماذا تصف هذا السلوك يا عزيزي غوبي؟ أتعتقد أنه يتّفق مع أبسط قواعد الإدراك؟

- بل هو يدلّ على عدم الدراية وقلّة الحذر، ومهمّة الشرطة تهون وتسهل كلّما وقع المجرم في مثل هذه الأخطاء البديهية.

ونهض المفتش غوبي واقفاً وهو يقول: والآن اسمح لي بالانصراف، سأذهب إلى فندق سافوي.

- أتأذن لي بمرافقتك؟

- بكل ارتياح.

وانصرف بريان مارتان وهو لا يزال بادي الانفعال على حين ذهب الباقون إلى الفندق، وأقبل غوبي على أحد رجاله يسأله: هل من جديد؟

- نعم، لقد أرادت أن تتحدّث في الهاتف.

فقال المفتش باهتمام: أحقاً؟! مع مَن؟

- مع محلات جاي لتأمر بإعداد ملابس الحِداد.

فقرض غوبي على أسنانه ولم يقُل شيئاً.

وصعدوا جميعاً ومعهم السيد ماكسون المحامي الذي كان في الانتظار، وكانت أرملة اللورد إدغوير جالسة في قاعة الاستقبال وأمامها مجموعة كبيرة من القبّعات وهي تجرّبها أمام المرآة وقد ارتدت ثوباً من الحرير الأسود، فحيّت زائريها بابتسامة لطيفة وقالت: أنا شاكرة لك يا سيد بوارو مبادرتك بالحضور وسعيدة برؤيتك يا سيد ماكسون. أرجوك أن ترشدني إلى الطريقة التي أجيب بها على أسئلة هذا الشرطي، فهو يعتقد أنني خرجت في هذا الصباح وقتلت إدغوير!

انبرى المفتش غوبي يقول مستدرِكاً: عفواً، بل مساء أمس.

- ألم تقُل لي في الساعة العاشرة من صباح اليوم؟

- بل العاشرة من مساء أمس.

- فليكن، يبدو أنني خلطت إذن بين العاشرة من مساء أمس والعاشرة من صباح اليوم.

فقال غوبي بخشونة: ولكن الساعة يا سيدتي لم تبلغ العاشرة اليوم بعد.

فحملقت فيه جين بدهشة وقالت: يا إلهي! لقد مضت دهور منذ أن استيقظت. إذن فلا بدّ أنك جئت توقظني يا سيّدي عند الفجر!

وهنا تدخّل محاميها السيد ماكسون قائلاً: هل لك أن تخبرني يا سيدي المفتش بالوقت الذي وقع فيه هذا الحادث الذي يؤسَف له؟

- في نحو الساعة العاشرة من مساء أمس يا سيدي.

فقالت الممثّلة معترضة: الساعة العاشرة؟! ولكنني في ذلك الوقت كنت أتناول العشاء في الخارج.

ثم رفعت حاجبيها ووضعت يدها على فمها ونظرت إلى محاميها قائلة: يا إلهي! أظنّ أنه ما كان ينبغي أن أقول شيئاً، أليس كذلك؟

فقال محاميها: لا ضير عليك مما قلتِ. نعم، إن السيدة إدغوير كانت تتناول العشاء في الخارج في الوقت الذي وقعت فيه الجريمة.

فقال المفتش غوبي: ألم أسألك يا سيدتي أن تسردي عليّ كيف أمضيت سهرتك أمس؟

- أنت قلت «الساعة العاشرة» ولم تقُل إذا كان ذلك مساء أمس أم صباح اليوم. وعلى كل حال لقد أفزعتني بلهجتك، لقد أغمي عليّ يا سيد ماكسون بسبب خشونته معي!

فقال المفتش غوبي: وعند مَن تناولت العشاء يا سيدة إدغوير؟

- عند السير مونتاغو كورنر في شيسويك.

- ومتى وصلت إلى قصره؟

- كان موعد العشاء في منتصف التاسعة.

- ومتى غادرتِ مضيفك؟

- في نحو منتصف الثانية عشرة.

- وهل عُدتِ مباشرة إلى فندقك؟

- نعم.

- هل عُدت في سيارة أجرة؟

- لا، بل في سيارتي الخاصّة، وقد استدعيتها من ساحة انتظار سيارات ديملر.

- ألم تغادري المائدة في أثناء الطعام؟

- ماذا تقصد بهذا السؤال يا سيدي؟ أتريد أن تقول...؟

فقاطعها المفتش بجفاء قائلاً: هل غادرت المائدة؟

- نعم، طُلبتُ إلى الهاتف في أثناء الطعام.

- ومَن كان محدّثك؟

- لا أدري، كان الأمر مزاحاً فيما أعتقد. لقد سمعت صوتاً يقول: "هل أنت السيدة إدغوير؟" فلمّا رددت بالإيجاب سمعت ضحكة رنانة ثم انقطع الاتصال.

- وهل غادرتِ البيت لتتحدّثي هاتفيّاً؟

فنظرت إليه بدهشة وقالت: بالطبع لا!

- كم من الوقت غبت عن المائدة؟

- ثلاث دقائق تقريباً.

وعلى أثر هذا الجواب قطب المفتش غوبي جبينه؛ فلم يكن هذا هو ما يرجوه أو يتوقعه، على أنه أقنع نفسه بأنها كذبت فيما أجابت وبأن التحرّيات ستسفر عمّا كان يعتقد.

ثم نهض واقفاً واستأذن في الانصراف، وأراد بوارو أن يلحق به ولكن السيدة إدغوير استبقته بقولها: أريد أن أسألك خدمة يا سيد بوارو.

- بكل ارتياح.

- أرجوك أن ترسل إلى الدوق مارتون في باريس بما حدث، هو مقيم في فندق غريون، وأنا أرى أنه من اللائق أن لا أتصل به مباشرة في خلال أسبوع أو أسبوعين؛ يجب أن أمثّل دور الأرملة الحزينة.

- أنا لا أرى داعياً لإخطاره يا سيدتي؛ فصحف باريس ستفيض بأنباء الحادث.

- صدَقت، من الحكمة أن لا أتصل به على الإطلاق؛ ففي

مثل هذه الظروف يجب أن أحتفظ بكرامتي بصفتي أرملة حزينة. وبالمناسبة، هل ترى أن من الضروري أن أحضر ساعة الدفن؟

- بل يجب قبل كل شيء أن تحضري التحقيق.

- صدقت، صدقت.

ثم أردفت تقول: أنا أكره مفتش اسكتلنديارد؛ فقد كان شديد الخشونة معي. ولكن من حسن الحظّ أنني غيّرت رأيي في اللحظة الأخيرة وقرّرت أن أحضر المأدبة مساء أمس.

فنظر إليها بوارو متفرّساً وقال: ماذا تقولين؟! غيّرت رأيك؟!

- نعم، كان في نيّتي أن أعتذر عن حضورها؛ فقد شعرت بصداع شديد قبل الميعاد.

فابتلع بوارو لعابه وقال: وهل علم أحد بعزمك على الاعتذار؟

- نعم، كنا نفراً من الأصدقاء نتناول الشاي، فأراد أحدهم أن يقدّم لي كأساً من العصير فرفضت محتجّة بصداع يكاد يحطّم رأسي، واسترسلت أقول إن في نيّتي أن أعود إلى فندقي توّاً وأن أعتذر عن حضور الوليمة.

- وما الذي جعلك تغيّرين رأيك؟

- وصيفتي أليس هي التي أشارت عليّ بالذهاب خشية أن أُغضِب ضيفي، فالسير مونتاغو كما تعلم رجل ذو نفوذ كبير في الأوساط الفنّية وليس بعيداً أن أحتاج إلى معرفته يوماً ما.

إن أليس امرأة حصيفة راجحة العقل وما ندمتُ يوماً على الأخذ بمشورتها.

فقال بوارو باسماً: إن لك في أليس يا سيدتي مستشارة نفسية.

- أصبت يا سيدي.

ثم رفعت صوتها تنادي وصيفتها، فلمّا جاءت قالت لها: إن السيد بوارو يهنّئني يا أليس على أنني أخذت بنصحك أمس فذهبت إلى المأدبة.

- إن التخلّف يا سيدتي عن مثل تلك المآدب التي يقيمها أشخاص من ذوي النفوذ ليس من الحكمة في شيء.

وتناولت جين القبّعة التي كانت تجرّبها عند دخول بوارو وصاحبَيه وقالت: ما أشدّ كرهي للون الأسود! ولكن ما العمل ولا مفرّ من ارتدائه بصفتي أرملة؟ صدّقني يا سيد بوارو إن قلت لك إن أكبر نكبة تصيب الأرملة هي اضطرارها إلى ارتداء اللون الأسود عند موت زوجها.

ثم التفتت إلى أليس قائلة: اتصلي يا أليس بمتجر آخر واطلبي مجموعة أخرى من القبّعات؛ فهذه القبّعات لا تروقني.

* * *

الفصل السابع
السكرتيرة

بعد ساعة من ذلك الحديث عاد المفتش غوبي يطلب مقابلة هيركيول بوارو للمرّة الثانية، وعندما دخل عليه بادره بوارو بقوله: ألا زلت ماضياً في تحرّياتك؟

- بالتأكيد، وأنا الآن أمام أمرين لا ثالث لهما، فإمّا أن أتّهم أربعة عشر شخصاً بشهادة الزور وإمّا أن أسلّم بأن السيدة إدغوير بريئة. لقد شهد جميع المدعوين بأنها حضرت الوليمة ولم تتخلّف عن المائدة إلاّ دقائق معدودة حين طُلبت إلى الهاتف. وأصارحك يا سيد بوارو بأنني لم أكن أتوقّع ذلك، فالسيدة إدغوير في اعتقادي لا بدّ أن تكون هي القاتلة؛ إنها الشخص الوحيد الذي لديه دافع قويّ إلى ارتكاب الجريمة!

- أنا لا أشاطرك هذا الرأي يا عزيزي، ولكن استمرّ في حديثك.

- كنت أرجو أن أجد في شهادة المدعوين ثغرة أنفذ منها إلى ما أريد، وليس في وسعي طبعاً أن أرميهم بشهادة الزور وكلّهم من أكابر القوم ومنهم من لا تربطه بالسيدة إدغوير أية علاقة من

الصداقة أو المعرفة. ولو أنهم شهدوا مثلاً بأنها تغيّبت عن المائدة نصف ساعة لتتزين لكان الأمر مختلفاً، ولكنهم أجمعوا على أنها لم تتغيّب إلاّ دقائق قليلة حين ذهبت إلى الهاتف في رفقة رئيس الخدم الذي سمع بنفسه حديثها الهاتفي. ولكن ألا ترى أن مسألة الحديث الهاتفي تدعو إلى الدهشة؟

- هذا صحيح، فهل كان محدّثها رجل أم امرأة؟

- امرأة فيما أعتقد.

فقال بوارو وهو شارد: هذا عجيب.

- ولكن لندَع هذا الآن ولنتناول مسألة أخرى أكثر أهمية. لقد صدَقتنا القول في شهادتها، فقد وصلت إلى قصر السير مونتاغو في الساعة التاسعة إلاّ الربع وانصرفت في منتصف الثانية عشرة فبلغت فندقها بعد ربع ساعة، وقد سألتُ سائق السيارة وخدم الفندق فأيّدوا وقت رجوعها.

- هذا طبيعيّ.

- إذن فما رأيك فيمن شاهدوها في قصر اللورد إدغوير؟ ليس رئيس الخدم وحده هو الذي رآها وإنما رأتها أيضاً سكرتيرة اللورد، ويُقسم الاثنان بغير تردّد على أن السيدة إدغوير حضرت لزيارة زوجها في الساعة العاشرة.

- كم مضى على رئيس الخدم في خدمة اللورد؟

- ستة شهور.

- هذا معناه أنه لا يعرف السيدة إدغوير معرفة شخصية لأنه دخل في خدمة اللورد بعد أن هجرته زوجته.

- ولكنه عرفها من صورها التي تنشرها لها الصحف، ومهما يكن من أمر فقد عرفتها السكرتيرة كارول التي مضى عليها في خدمة اللورد خمسة أو ستة أعوام، وشهادتها من تلك الناحية فوق الشبهات.

- أحقاً؟ أريد أن أقابل تلك المرأة.

- حسناً، هيا بنا إليها الآن.

- شكراً لك، وأظنّ أنه لا اعتراض لك على أن نصطحب معنا الكابتن هيستنغز؟

فأحنى المفتش غوبي رأسه موافقاً وقال: هذه الجريمة تذكّرني بمصرع إليزابيث كاننغ، أنت تذكر الحادث طبعاً. لقد شهد عشرون شاهداً برؤيتهم ماري سكوير في مدينتين مختلفتين وفي وقت واحد وجميعهم شهود عدل شرفاء، وماري سكوير تمتاز بخلقة دميمة تجعل من المستحيل أن يخلط المرء بينها وبين سواها، وأنت تعلم طبعاً أن اللغز لا يزال غامضاً إلى اليوم. وها نحن أولاء إزاء لغز مماثل، فأمامنا جماعتان تُقسِم كلّ منهما على أنها رأت السيدة إدغوير في مكان غير المكان الثاني، فأيّ الجماعتين أصدق قولاً؟

- أنا أرى أن اكتشاف الحقيقة ليس بالأمر العسير.

- ماذا تقول؟! إن الآنسة كارول، أعني السكرتيرة، تعرف السيدة إدغوير حقّ المعرفة؛ فقد عاشت معها تحت سقف واحد شهوراً طويلة وخطؤها من هذه الناحية مستحيل.

- سنستوثق من الأمر فيما بعد.

وانبرى الكابتن هيستنغز يقول: مَن وريث اللقب؟

- الكابتن دونالد مارشي، وهو ابن أخ القتيل ويقال إنه شاب متلاف عربيد.

فقال بوارو متسائلاً: وما رأي الطبيب في وقت ارتكاب الجريمة؟

- لا بدّ من الانتظار إلى ما بعد التشريح لنعرف رأيه النهائي، ولكن الساعة العاشرة تتفق مع أقوال الشهود، فقبل الساعة التاسعة بدقائق غادر اللورد إدغوير المائدة ودخل قاعة المكتبة حيث لحق به رئيس الخدم يحمل إليه الشراب، وفي الساعة الحادية عشرة لاحظ رئيس الخدم أن الأنوار مطفأة في قاعة المكتبة، فمن المؤكّد أن اللورد إدغوير كان ميّتاً في ذلك الوقت؛ إذ ليس معقولاً أن يمكث في الظلام.

فنهض بوارو واقفاً وهو يقول: هيا بنا إلى قصر اللورد.

* * *

كان رئيس الخدم نفسه هو الذي استقبل الزائرين، وقد دخل المفتش غوبي أولاً يتبعه الكابتن هيستنغز وإلى جانبه بوارو، وكان الكابتن هيستنغز بجسمه الضخم يقف إلى ناحية رئيس الخدم فحجب بوارو عن رئيس الخدم، ولكنهم عندما توسّطوا البهو وقعت أنظار رئيس الخدم على بوارو فشهق شهقة مكتومة سمعها الكابتن هيستنغز فأثارت رِيبته.

قال المفتش غوبي مستجوِباً رئيس الخدم: اسمع يا ألتون، أَعِدْ علينا ما رويته لي من قبل. ألم تحضر تلك السيدة في العاشرة؟

- السيدة إدغوير؟ بلى يا سيدي.

فقال بوارو يسأله: وكيف عرفتها؟

- ذكرت لي اسمها، فضلاً عن أنني أرى صورها في الصحف كما سبق أن شاهدتها تمثّل على المسرح.

فعاد بوارو يقول: صِفْ لي ملابسها.

- كانت ترتدي ثوباً أسود اللون وقبّعة صغيرة سوداء وعقداً من اللؤلؤ وقفازاً رماديّاً.

فالتفت بوارو إلى المفتش غوبي ثم قال: وما الذي كانت ترتديه في المأدبة؟

- ثوباً أبيض اللون وقبّعة بيضاء.

واسترسل رئيس الخدم في شهادته بما طابق ما أفضى به المفتش غوبي من قبل، وعاد بوارو يسأله قائلاً: هل زار أحدٌ آخر سيّدَك في ذلك المساء؟

- لا.

- ما الطريقة التي يقفل بها الباب العمومي؟

- إنه مزوَّد بقفل من طراز يال، وقد اعتدتُ أن أضع المزلاج خلفه قبل أن آوي إلى غرفة نومي، أي في نحو الساعة الحادية عشرة، ولكن ابنة اللورد الآنسة غيرلدين كانت في الأوبرا في الليلة الماضية فلم أضع المزلاج.

- وكيف وجدتَ الباب في هذا الصباح؟

– كان مغلقاً بالمزلاج وكانت الآنسة غيرلدين هي التي تولّت وضعه.

– أتعرف في أية ساعة رجعت الآنسة غيرلدين؟

– قبل منتصف الليل بربع ساعة.

– وكيف دخلت؟

– الباب لا يُفتح من الخارج إلاّ بواسطة المفتاح، أمّا من الداخل فيكفي استعمال المقبض.

– كم مفتاحاً للبيت؟

– مفتاحان، أحدهما لدى اللورد إدغوير والثاني يوضع عادةً في دُرج الطاولة الموجودة في البهو، وهو المفتاح الذي استعملته الآنسة غيرلدين في تلك الليلة.

– هل يوجد مفتاح ثالث لدى أيّ شخص من أهل البيت؟

– لا، فالآنسة كارول تدقّ الجرس عادةً.

وهنا التفت بوارو إلى المفتش غوبي وأخبره بأنه قنع بذلك من استجواب رئيس الخدم وأنه يرغب في استجواب السكرتيرة.

وعندما دخلوا على السكرتيرة في غرفتها كانت جالسة على مكتبها تحرّر رسالة. وهي امرأة في الخامسة والأربعين من العمر تنمّ ملامحها عن الذكاء والصلابة، ولها شعر أشقر مجعد وعينان زرقاوان تلمعان خلف نظارتها. ولما تكلّمت كان صوتها واضحاً جليّاً، وحين قدّم إليها المفتش غوبي السيد هيركيول بوارو قالت: السيد بوارو؟! إذن فأنت الذي كنت على موعد مع اللورد أمس.

- تماماً يا آنسة.

- ما الخدمة التي أستطيع أن أسديها؟

- أن تجيبي على سؤال صغير، أموقنة أنتِ من أن السيدة إدغوير هي التي حضرت مساء أمس؟

- يا إلهي، هذه ثالث مرة يوجَّه إليّ فيها هذا السؤال! أنا موقنة طبعاً، لقد رأيتها بعينَي رأسي.

- وأين رأيتِها يا آنسة؟

- في البهو، كانت تتحدّث مع رئيس الخدم ثم دخلت قاعة المكتبة.

- وأين كنتِ في تلك اللحظة؟

- على الدرَج في الطابق الأوّل، وقد استندتُ إلى السياج ونظرتُ إلى أسفل.

- ألا يحتمل أنك أخطأت؟

- محال يا سيدي؛ فأنا أعرف وجهها حقّ المعرفة.

- ربما خدعك وجه شبيه بوجهها.

- لا؛ إن وجه جين ولكنسون معروف! إنها هي بعينها.

فأرسل المفتش غوبي إلى بوارو نظرة أراد أن يقول بها: أرأيت إذن أن شهادتها فوق الشكّ؟

واستطرد بوارو يستجوبها قائلاً: هل للورد إدغوير أعداء؟

- أعداء؟! أنحن في عصر العداوة والأعداء؟

- ولكن ما دام قد قُتل فهذا معناه...

فقالت الآنسة كارول بحماسة: زوجته هي التي قتلته.

- أتريدين أن تقولي إن الزوجة لا يمكن أن تكون عدوّة؟

- على أيّ الأحوال أنا لا أكاد أصدّق أن شيئاً كهذا يمكن أن يقع.

- كم مفتاحاً للبيت؟

- مفتاحان، يحمل اللورد إدغوير واحداً منهما، أمّا الثاني فيوضع عادةً في دُرج الطاولة في البهو حتى يتسنّى لمن يشاء أن يتأخّر في العودة أن يأخذه معه عند خروجه. وقد كان هناك مفتاح ثالث فيما مضى ولكن الكابتن مارشي أضاعه.

- وهل يتردّد الكابتن مارشي كثيراً على القصر؟

- لا، لكن كان يعيش في القصر حتى ثلاث سنوات مضت.

- ولماذا رحل عنه؟

- لا أعرف من تفصيلات الأمر كثيراً، ولكن من المؤكّد أنه لم يكن على وفاق مع عمّه.

فابتسم بوارو وقال: ومن المؤكّد أنك تعرفين أكثر مما تريدين أن تقولي.

- أنا لست ثرثارة يا سيد بوارو!

- ولكن في وسعك على الأقلّ أن ترشدينا إلى الحقيقة فيما

يتصل بالإشاعات التي تردّدها الألسن بأن خلافاً شديداً وقع بين اللورد إدغوير وابن أخيه.

- ليس الأمر خطيراً فيما أعتقد، كل ما في الأمر أن اللورد إدغوير شديد الصلابة.

- أهذا رأيك الشخصي؟

- الأمر لا يتعلّق بي شخصيّاً، فما شجر الخلاف يوماً بيني وبين اللورد إدغوير، بل على العكس قد كان عظيم الثقة بي.

- وما الذي يأخذه على الكابتن مارشي؟

- إسرافه وسوء تصرّفه، فهو غارق في الديون. وأعتقد أيضاً أن هناك أسباباً أخرى تضاعف من تباعدهما وإن كنت لا أعرفها على وجه التأكيد. وعلى أثر مشادّة حامية حرّم عليه اللورد إدغوير دخول البيت، هذا كل شيء.

ثم ضمّت شفتيها بعنف دلالة على أنها لا تنوي أن تتكلّم بعد ذلك.

وفي أثناء الهبوط تأبّط السيد هيركيول بوارو ذراع الكابتن هيستنغز قائلاً: لحظة واحدة يا هيستنغز، ابقَ أنت هنا ريثما أنزل أنا وغوبي إلى البهو ثم راقِبْنا منذ اللحظة التي نتحرّك فيها من الباب العمومي حتى باب قاعة المكتبة، وبعد ذلك يمكنك أن تلحق بنا.

فوقف الكابتن هيستنغز على الدرَج مستنداً إلى السياج مرسِلاً بصره إلى البهو، ولم يكن في وسعه أن يرى صاحبَيه من مكانه هذا وهما يعبران البهو، وعندما بلغا قاعة المكتبة لحق بهما.

وكانت جثة القتيل قد نُقلت من القاعة وأُزيحت الستائر، وكان بوارو وغوبي يتوسّطان القاعة وهما يديران النظر فيها. وتمتم غوبي بأسف قائلاً: لا شيء هنا.

فابتسم بوارو وقال: مما يؤسَف له أن الآثار معدومة. لا رماد تبغ ولا بصمات أصابع ولا قفّاز امرأة ولا حتى رائحة عطر ناعم! لا شيء من تلك الآثار التي اعتاد مؤلّفو الروايات البوليسية أن يحشوا بها قصصهم!

فقال الكابتن هيستنغز يخاطب بوارو: لقد رأيتكما وأنتما تعبران البهو.

فقال بوارو بتهكّم: أنت إذن أَحدّ بصراً مما كنت أعتقد! أرأيت الوردة التي بين شفتيّ؟

فقال الكابتن بذهول: الوردة التي بين شفتيك؟!

فأخذا المفتش غوبي يضحك حتى خُيّل إلى الكابتن هيستنغز أن الرجلين يهزآن به، واستطرد بوارو قائلاً: إذن فأنت لم ترَ الوردة؟

- لا؛ فأنا لم أتمكّن من رؤية وجهك وأنا في ذلك المكان.

فقال المفتش غوبي: فلنطلب الآن مقابلة ابنة اللورد، فقد كانت في الصباح شديدة الانفعال إلى درجة عجزتُ معها عن استجوابها.

ودقّ الجرس يستدعي رئيس الخدم، فلمّا جاءه طلب منه أن يخطر الآنسة غيرلدين برغبته في مقابلتها، وبعد بضع دقائق

أقبلت الآنسة كارول وقالت: إن غيرلدين نائمة، فقد كان موت أبيها صدمة قاسية وقد أعطيتها منوّماً عقب انصرافك في الصباح، وأعتقد أنها لن تستيقظ إلاّ بعد ساعة أو ساعتين.

فأحنى المفتش غوبي رأسه مذعناً واسترسلت الآنسة كارول قائلة: ومهما يكن من أمر فقد أخبرتك أنا نفسي بكل ما يمكن أن تفضي به إليك غيرلدين.

فقال بوارو فجأة يسألها: ما رأيك في رئيس الخدم؟

- لست أكتم عنك أنه لا يعجبني، وإن كنت لا أجد لذلك إيضاحاً معقولاً!

وكانوا في خلال ذلك الحوار قد اقتربوا من الباب الخارجي فقال بوارو مشيراً إلى الدرَج عند الطابق الأوّل: أكنتِ واقفة هنا يا آنسة مساء أمس عندما رأيت السيدة إدغوير؟

- نعم.

- في طريقها إلى قاعة المكتبة؟

- نعم.

- وهل رأيت وجهها بوضوح؟

- بكل تأكيد.

فقال بوارو ببساطة: ولكن من يقف فوق هذا الدرَج لا يمكن أن يرى إلاّ ظَهر من يتّجه إلى قاعة المكتبة.

فاحمرّ وجه الآنسة كارول وقالت: لا يمكن أن يرى إلاّ الظّهر؟! ولكنني رأيتها بعيني وسمعت صوتها ولا يمكن أن أخطئ!

إنها هي بعينها جين ولكنسون وأنا أقسم أنها أشرّ امرأة في العالم.

ثم استدارت على عقبيها ومضت صاعدة إلى غرفتها.

* * *

الفصل الثامن

احتمالات

ذهب بوارو وصاحبه الكابتن هيستنغز إلى حديقة ريغنت وجلسا على أحد مقاعدها يتبادلان الحديث. قال بوارو: إذن فرئيس الخدم قد أثار ريبتك بشهقته، والآنسة كارول تؤكّد أنها رأت وجه الزائرة على حين أن التجربة أثبتت أن ذلك مستحيل.

- ولكن من الممكن أن يتبيّن الإنسان شخصاً معيّناً من صوته ومشيته، فهما علامتان بارزتان قلّما يدركهما الخطأ.

- هذا صحيح، ولكن لا تنسَ أن من السهل تقليد المشية والصوت، ولو أنك رجعت بذاكرتك إلى الليلة التي أمضيناها في المسرح لتبيّنت صدق قولي.

فقال الكابتن هيستنغز: أتقصد كارلوتا آدمز؟ ولكنها كما تعلم تمتاز بقدرة خاصّة على التقليد لا تتوفّر لسواها.

- أنا معك في هذا، ولكن في وسع كارلوتا أن تقلّد جين ولكنسون على المسرح أو... في أي مكان آخر!

- أتريد أن تقول يا بوارو إن هذا هو ما حدث؟

- هذا يتوقّف على عدّة أشياء.

- ولكن ما الذي يدعو كارلوتا آدمز إلى قتل اللورد إدغوير وهي لا تعرفه؟

- ومن أين عرفت أنها تعرفه أو لا تعرفه؟ يُحتمَل أن تكون بين الاثنين علاقة نجهلها، ومع ذلك فلي في الأمر نظرية تختلف عن نظريتك.

- هل لك نظرية معيّنة؟

- نعم، فمنذ اللحظة الأولى خطر لي أن من المحتمل أن يكون لكارلوتا آدمز دخلاً في المسألة.

- ولكن كيف؟

- صبراً يا هيستنغز، اسمح لي أن أضع تحت بصرك بعض الحقائق. ها هي السيدة إدغوير تكاشفنا بغير مواربة بما بينها وبين زوجها من نفور، وقد سمع هذا الحديث معنا السيد بريان مارتان ووصيفتها أليس وربما كارلوتا آدمز أيضاً، كما أن من المحتمل أنها ردّدت تلك الأقوال أمام غيرهم. وفي ذلك المساء بعينه تنال كارلوتا آدمز الإعجاب بسبب تقليدها التام لجين ولكنسون، ومعروف طبعاً أن لدى جين ولكنسون دافعاً يحملها على قتل زوجها. ولكن لنفرض أن كارلوتا آدمز تحقد أيضاً على اللورد إدغوير وتريد قتله لسبب نجهله، ففي وسعها أن تقلّد الزوجة الأصلية التي لديها دافع القتل في اليوم الذي تعلن فيه جين ولكنسون أنها ستتخلّف عن الوليمة بسبب الصداع وأنها ستأوي إلى فراشها، فترى كارلوتا أن الوقت قد حان لتوجيه ضربتها فتذهب إلى قصر اللورد منتحلة شخصية الزوجة. وقد شهد بذلك فعلاً رئيس الخدم

والآنسة كارول.

وهناك مسألة أخرى لها وجاهتها، وهي أن السيدة إدغوير تكره اللون الأسود كما أخبرتنا، على حين أن المرأة التي ذهبت إلى القصر كانت ترتدي ثياباً سوداء. لنفرض إذن أن الزائرة لم تكن جين ولكنسون وإنما امرأة أخرى انتحلت شخصيتها، فهل تلك المرأة هي القاتلة؟

هناك احتمال آخر، وهو أن شخصاً ثالثاً تسلّل إلى القصر فقتل اللورد، وهنا يعرض للخاطر سؤالان: هل دخل الرجل القصر عقب زيارة المرأة المنتحلة شخصية السيدة إدغوير أم قبلها؟ إذا فرضنا أنه دخل القصر بعد دخول المرأة فكيف تعلّل الزيارة التي قامت بها المرأة؟ فهي إن استطاعت أن تخدع رئيس الخدم أو السكرتيرة بشخصيّتها فهل كانت ترجو أن تخدع أيضاً اللورد إدغوير وهو أعرف الناس بزوجته؟ وإذا فرضنا أن القاتل دخل القصر قبل زيارة المرأة فهل وجدت المرأة اللورد جثة هامدة حين دخلت قاعة المكتبة؟ وهل قامت المرأة بتلك الزيارة من تلقاء نفسها لسبب خاص بها شخصيّاً أم قامت بها بإيحاء من القاتل؟ وإذا كانت قد ذهبت بإيحاء منه فهل كانت تعلم أنه سيرتكب الجريمة؟

فتنهّد الكابتن هيستنغز وقال: الحق يا عزيزي بوارو أن رأسي يكاد ينفجر لكثرة احتمالاتك وفروضك!

فضحك بوارو وقال: هذا أمر لا بدّ منه يا صديقي، وشأن الشرطي السرّي في ذلك شأن السيدة إذا أرادت أن تبتاع ثوباً، فهي تجرّب طائفة منها وتنتقي من بينها ما يبدو أشدّ انسجاماً عليها.

- ولكن مَن الذي ارتكب الجريمة؟

– هذا سؤال سابق لأوانه، فلنبحث أولاً عمّن له مصلحة في اختفاء اللورد إدغوير. لدينا أولاً ابن أخيه الوريث، وعلى الرغم من اعتقاد الآنسة كارول بأننا نعيش في عصر لا عداوة فيه ولا أعداء إلاّ أنه يمكنني أن أقطع بأن اللورد إدغوير من طراز يثير العداوة في نفس أشدّ الناس مسالمة ووداعة.

– أنا أشاطرك هذا الرأي.

– تصوّر يا هيستنغز أن جين ولكنسون لو لم تعدِل عن رأيها في اللحظة الأخيرة وتذهب إلى المأدبة لما وجدت دليل نفي يدفع عنها التهمة! ولو أنها أوت إلى فراشها في فندق سافوي لاستحال عليها أن تثبت وجودها في غرفتها في أثناء ارتكاب الجريمة ولقُبِض عليها حتماً وحوكمت وكان من المحتمل أن يُقضى عليها بالإعدام!

على أن هناك أمراً يحيّرني وهو الدافع إلى إلقاء الشبهة عليها، وأيضاً ذلك الحديث الهاتفي العجيب. لماذا يطلبها شخص معيّن هاتفيّاً وهي في قصر مونتاغو وإذا بها تُقابَل بضحكة وينقطع الحديث في بدايته؟ لقد جرى ذلك الحديث في منتصف الساعة العاشرة، أي قبل ارتكاب الجريمة، وهذا دليل على أن القاتل ليس هو مخاطبها؛ لأنه لو علم بوجودها في المأدبة لأرجأ جريمته إلى وقت آخر، فقد كان كل همّه كما رأينا أن يُلقي التهمة عليها. أنا أعتقد يا هيستنغز أننا أمام سلسلتين مختلفتين من الحوادث.

– يحتمل أن يكون الأمر مجرّد مصادفة.

– لا، لا؛ فالمصادفات لا تنسجم بهذا الشكل، فمنذ ستة شهور حُجِز خطاب اللورد إدغوير عن الوصول إلى صاحبته، فلماذا؟ أكانت تلك مصادفة أيضاً؟ هناك حوادث متتالية لم أجِد لها

تعليلاً حتى الآن ولكنني موقن بأن بينها رابطة خفيّة. وهناك أيضاً حكاية بريان مارتان عن مطاردة الرجل ذي السنّ الذهبية له.

- ولكن ليس لتلك الحكاية يا بوارو أية علاقة بمصرع اللورد إدغوير.

- أنت أعمى يا هيستنغز وتأبى أن ترى السلسلة التي تربط بين تلك الحوادث بعضها ببعض. أنا أعترف أن الأمر لا يزال على شيء من الغموض ولكنه غموض لا يلبث أن ينجلي.

وحاول الكابتن هيستنغز أن يقدح ذهنه قليلاً بلا جدوى ثم هتف بغتةً قائلاً: ولكن كارلوتا آدمز لا يمكن أن تكون هي القاتلة؛ فهي رقيقة الطباع وديعة الخُلق.

- هذا صحيح، وأنا لم أقُل مطلقاً إنها هي الجانية، فأنا أعتقد أنها انتحلت شخصية السيدة إدغوير دون أن تدري أنها بذلك تساعد قاتلاً على ارتكاب جريمته، لقد مثّلت هذا الدور بحُسن نيّة، ولكن...

وبتر بوارو جملته وقطب جبينه ثم استرسل قائلاً: ولكنها قرأت خبر الجريمة اليوم في الصحف وكان ينبغي أن...

وللمرة الثانية بتر جملته وهبّ واقفاً وهو يقول: فلنسرع يا هيستنغز، فلنسرع! ما أشدّ غبائي! ائتني بسيارة مأجورة في الحال. أتعرف عنوان كارلوتا؟

- لا.

- فلنسرع إذن إلى المسرح لنستفسر عن عنوانها.

- فلنبحث في دليل الهاتف.

- أنا أعلم أن اسمها غير مدرَج في دليل الهاتف.

وبعد الاستعلام عن عنوانها من إدارة المسرح طارت بهما السيارة إلى منزل كارلوتا، وكان بوارو طوال الطريق لا يفتأ يردّد قوله: ما أشدّ غبائي يا هيستنغز! ليتنا نصل قبل فوات الوقت!

فقال الكابتن هيستنغز: ولكن ما الداعي إلى هذا الإسراع؟

- الداعي هو أن وصولنا في الوقت المناسب سيزوّدني بالدليل الذي أبحث عنه.

* * *

الفصل التاسع
الجريمة الثانية

لم تكَد السيارة تقف أمام بيت كارلوتا حتى وثب منها بوارو وأخذ يرتقي الدرَج راكضاً وفي أثره الكابتن هيستنغز، وفتحت لهما البابَ خادمةٌ محمرّة العينين بوجهها آثار البكاء، فلمّا سألها بوارو عن الآنسة آدمز كان جوابها: ألم يبلُغك الخبر يا سيدي؟

- أيّ خبر؟ ماذا جرى؟

- لقد ماتت، ماتت في أثناء نومها.

فتمتم بوارو قائلاً: واأسفاه! لقد وصلنا بعد فوات الأوان!

وكان انفعاله واضحاً إلى حدّ جعل الخادمة تقول: هل أنت صديق لها يا سيدي؟ أنا لا أذكر أنني رأيتك من قبل.

فلم يُجِب بوارو على سؤالها وإنما قال: هل استدعيتِ طبيباً؟

- نعم.

- وماذا قال؟

- لقد أخذت جرعة قوية من منوّم الفيرونال.

- فلندخل إذن.

ولكن المرأة اعترضت سبيله قائلة: ولكن يا سيدي...

فقاطعها بقوله: أنا شرطي سرّي مكلَّف بتحقيق الظروف المحيطة بوفاة سيّدتك، ولكن يجب أن تعلمي أن تحرّياتي سرّية لا ينبغي أن يعلم بها إنسان؛ فمن مصلحة التحقيق أن يظلّ الاعتقاد سائداً بأن الآنسة آدمز ماتت بشكل طبيعيّ.

ثم سألها عن اسم الطبيب وطلب منها أن تروي له كيف اكتشفت الجثة، فقالت: في منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم حملتُ إلى غرفة نومها الشاي كالمعتاد فرأيتها لا تزال مستغرقة في النوم (أو هذا ما خُيّل إليّ) فوضعت الشاي على الطاولة لأرفع الستائر، وكانت إحدى حلقاتها مفقودة فاضطررت أن أضرب الستار بعنف فأحدث صوتاً مسموعاً اعتقدت معه أنه سيزعجها من نومها، فعدت أنظر إليها فأدهشني جمود سحنتها، فدنوت منها ولمست يدها فألفيتها مثلجة فصرخت بفزع!

وأخذت المرأة تبكي فقال لها بوارو: وهل كانت الآنسة آدمز معتادة على تناول المنوّمات؟

- من وقت لآخر، والمنوّم الذي تتناوله عادةً على شكل أقراص، ولكن الطبيب يقرّر أنها تناولت الليلة شيئاً آخر.

- هل زارها أحد في المساء؟

- لا، ولكنها خرجت.

- هل ذكرت لك وجهتها؟

- لا.

- ومتى خرجت؟

- في نحو الساعة السابعة.

- صفي لي ثيابها.

- كانت ترتدي ثوباً أسود وقبعة سوداء.

- هل كانت تتزين بعقد من الحليّ؟

- نعم، كانت تتزيّن بعقد من اللؤلؤ.

- وكانت تلبس قفازاً رماديّاً، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي، كانت بالفعل تلبس قفازاً رماديّاً.

- صِفي لي حالتها النفسية عند خروجها.

- كانت باسمة بادية الابتهاج.

- ومتى عادت؟

- بعد منتصف الليل بقليل.

- وكيف كانت حالتها النفسية حينئذ؟

- كانت بادية الإعياء والتعب.

- أكانت مضطربة أو منزعجة؟

- لا يا سيدي، بل كانت في الواقع أشدّ ابتهاجاً مما كانت ساعة خروجها ولكن كان واضحاً أنها متعَبة. وقد حاولت أن تطلب رقماً في الهاتف ولكن الاتصال لم يتمّ فذهبت إلى فراشها قائلة إنها سترجئ الحديث إلى الصباح.

ولمعت عينا بوارو انفعالاً، ولكنه استرسل يقول بصوت هادئ: أتعرفين اسم الشخص الذي حاولت الآنسة آدمز الاتصال به؟

- لا يا سيدي. لقد طلبت الرقم وانتظرت لحظة، ولا ريب في أن العاملة أجابتها كالمعتاد بأنها تدقّ الجرس لأنني سمعتها تقول: "تبّاً للهواتف! لن أنتظر أكثر من ذلك؛ فأنا في أمَسّ الحاجة إلى النوم"، ثم أعادت السمّاعة إلى مكانها وأبدلت ثيابها وأوت إلى فراشها.

- أتذكرين الرقم الذي طلبته؟

- لا يا سيدي، ولكنني أذكر فقط اسم المنطقة، فيكتوريا.

- هل تناولت شيئاً من الطعام أو الشراب قبل نومها؟

- نعم، كوباً من اللبن كالمعتاد وأنا التي أعددته لها.

- هل حضر إلى البيت أحد في المساء أو بعد الظهر؟

- لا، لقد تناولت الآنسة آدمز الغداء والشاي في الخارج ولم ترجع إلاّ في الساعة السادسة.

- ومتى جاء اللبن الذي شربته قبل نومها؟

- بعد الظهر، لقد وضعه اللبّان عند الباب في الساعة الرابعة. وأنا موقنة يا سيدي من أنه خال من أية مادّة مضرّة لأنني في هذا الصباح شربت منه بنفسي، وقد قرّر الطبيب أنها تناولت منوّماً.

- ربما، وعلى أيّ حال سأقابل الطبيب. أتعرفين أن للآنسة آدمز أعداء؟ أنت قادمة معها من أمريكا، فهل لها أعداء هناك؟

- لا.

ورأى بوارو حقيبة صغيرة موضوعة على أحد المقاعد فتناولها قائلاً: هل حملت الآنسة آدمز هذه الحقيبة عند خروجها في المساء؟

- لا يا سيدي، بل حملتها معها في الصباح ولما رجعت في الساعة السادسة لم تكن معها ولكنها كانت تحملها عند عودتها في منتصف الليل.

ففتح بوارو الحقيبة ثم التفت إلى صديقه الكابتن هيستنغز وقال: أرأيت يا هيستنغز؟ أرأيت صدق قولي؟

وكانت محتويات الحقيبة صندوق فيه بعض الأدوات التي تُستعمَل في التنكّر ومنها جهازان صغيران إذا وُضعا في الحذاء أطالا قامة الإنسان بضعة سنتيمترات، كما كان في الحقيبة قفّاز رماديّ وشعر مستعار أشقر يشبه شعر جين ولكنسون ومفروق من الوسط بنفس الطريقة التي تفرق بها جين شعرها. فقال بوارو وهو يشير إلى الشعر المستعار: هل آمنتَ الآن؟

ثم التفت إلى الخادمة وقال: أتعرفين مع مَن تناولت الآنسة آدمز العشاء أمس؟

- لا يا سيدي.

- ولا مع مَن تناولت الغداء أو الشاي؟

- أنا أعلم أنها تناولت الغداء مع الآنسة درايفر، أمّا عن الشاي فلا أعلم شيئاً.

- ومَن الآنسة درايفر؟

– صديقة حميمة لها تدير متجراً للأزياء في مخازن جنيف بشارع موفات.

– سؤال آخر، أتذكرين كلمات الآنسة آدمز عند عودتها في الساعة السادسة؟ ألم تقُل أو تفعل شيئاً غريباً شاذاً؟

ففكّرت الخادمة برهة ثم قالت: لا، لقد سألتها عمّا إذا كانت تريد الشاي فأجابت بأنها تناولته.

– أجل، تناولته من قبل! معذرة، استمرّي في حديثك.

– ثم جلست تكتب خطاباً حتى ساعة خروجها.

– أتعرفين لمن كتبت ذلك الخطاب؟

– لأختها المقيمة في واشنطن؛ لقد اعتادت أن تكتب إليها مرّتين في الأسبوع، وقد أخذت الخطاب معها عند خروجها لتلقيه في صندوق البريد بنفسها حتى يلحق بالبريد المسافر ولكنها نسيته في حقيبتها.

– أحقاً؟ إذن فالخطاب موجود؟

– لا يا سيدي، لقد تذكّرته عند عودتها في منتصف الليل فذهبتُ به بنفسي إلى صندوق البريد لألقيه فيه.

– وهل الصندوق بعيد عن هنا؟

– لا، هو عند منعطف الطريق.

– وهل أغلقتِ باب المسكن بالمفتاح عند خروجك؟

– لا؛ فليس من عادتي أن أغلقه بالمفتاح ما دام في نيّتي أن أعود سريعاً.

- أتسمحين لي بأن أرى سيّدتك؟

وكانت المسكينة مسجاة على فراشها ووجهها لا يزال نضراً يتألّق بالشباب، ووقف بوارو يتأمّلها برهة طويلة ثم التفت إلى هيستنغز وقال وهما يغادران البيت: لقد أقسمت يا هيستنغز...

ولم يكن هيستنغز في حاجة إلى أن يسأله عن فحوى القسَم؛ إذ كان يعلم أنه أقسم أن ينتقم لمصرع كارلوتا آدمز.

وبعد لحظات أردف بوارو قائلاً: إن عزائي الوحيد يا هيستنغز هو أنه لم يكن في وسعي أن أنقذها من الموت، فقد كانت ميّتة في اللحظة التي علمتُ فيها بمصرع اللورد إدغوير.

* * *

الفصل العاشر
جيني درايفر

ذهب بوارو إلى الطبيب الذي فحص جثة كارلوتا آدمز، وبعد المقدّمات المألوفة قال الطبيب: إنه لمن المثير للأسى أن تعمد فتاة ذات مستقبل مبشّر إلى تناول المخدّرات!

- إذن فأنت تعتقد يا دكتور أنها مدمنة للمخدّرات؟

- أستطيع أن أجزم بأنها اعتادت تناول الفيرونال وإن كنت أسلّم بأنها لا تتناوله كل ليلة، كما أن فحص الجثة قد أثبت خلوّها من وخز الحقن.

- إذن فما الذي جعلك تعتقد أنها مدمنة؟

- هذا.

وأخرج من حقيبته كيساً صغيراً من الجلد الأسود وهو يقول: لقد وجدتُ هذا عندها فآثرت أن أحمله معي خشية أن تعبث به يد الخادمة لأقدّمه إلى المحقّقين.

وأخرج من الكيس الجلدي علبة صغيرة من الذهب منقوش عليها بالياقوت الأحمر الحرفان الأوّلان من اسمها وهي: «ك.

آ.». ولما فتح الصندوق رآه بوارو مملوءاً بمسحوق أبيض فقال له الطبيب: هذا المسحوق هو الفيرونال، وأرجوك أن تلقي بالاً إلى هذه الجملة.

وكانت هناك جملة منقوشة على الغطاء من الداخل هذا نصّها: «تذكار من د. باريس إلى ك. آ. باريس، ١٠ تشرين الثاني. أحلام سعيدة».

فتمتم بوارو قائلاً: ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر)؟

- نعم، ونحن الآن في شهر حزيران (يونيو)، وهذا معناه أن إدمانها المخدّرات يرجع إلى ستة شهور خلت، ولما كانت السنة مجهولة فيمكن أن يقال إن إدمانها يرجع إلى ثمانية عشر شهراً أو إلى عامين ونصف.

فقال بوارو وهو غارق في التفكير: «د. باريس»!

- هل وجدتَ في هذه الكلمات شيئاً يميط اللثام؟ أنا في الواقع لا أستطيع أن أقطع برأي في الحادث، فهل كانت وفاتها انتحاراً أم موتاً طبيعيّاً؟ لقد أكّدت لي الخادمة أن الآنسة آدمز كانت شديدة الابتهاج أمس، وفي هذا ما يدعوني إلى أن أفترض أن الحادث لم يكن انتحاراً، فضلاً عن أن للفيرونال مفعولاً متباينا، فقد يتناول منه المرء جرعة صغيرة فيستغرق في النوم على الفور، وقد يتناول جرعة كبيرة فلا تأتيه بالنوم المنشود مما قد يغري المرء بمضاعفة الكمّية إلى درجة ينجم عنها الموت وهو لا يشعر بالخطر الذي يهدّده، ولهذا اعتُبر الفيرونال منوّماً خطراً خدّاعاً يُستحسَن استعمال سواه. وأعتقد أن التحقيق سيثبت أن الوفاة حدثت بشكل طبيعيّ لا انتحاراً.

- أتسمح لي يا سيدي الطبيب بأن ألقي نظرة على محتويات الكيس الجلدي؟

- بكل ارتياح.

فتناول بوارو الكيس الخاصّ بالآنسة آدمز وأفرغ محتوياته على المنضدة فوجد منديلاً طُرّزت عليه الحروف «ك. م. آ.» وعلبة مسحوق طلاء البشرة وإصبع لطلاء الشفاه، وورقة مالية من فئة الجنيه مع قطع فضية قليلة، ونظارة لزجاجها إطار من الذهب وهي من طراز عتيق لا يكاد يُستعمَل في هذه الأيام.

فتناول بوارو النظّارة وأخذ يتأمّلها وهو يقول: عجباً! أنا أجهل أن الآنسة آدمز تستعمل النظارات! ولكن يحتمل أنها تستعملها في القراءة فقط.

فتناولها الطبيب وفحصها ثم قال: لا؛ إنها نظارة تستعمل للسير فقط لا للقراءة، وزجاجها سميك مما يجعلني أعتقد أن صاحبتها لا بدّ أن تكون قصيرة النظر جداً.

- وهل الآنسة آدمز قصيرة النظر؟

- هذا ما لا أدريه، فأنا لم أُدْعَ إلى بيتها إلاّ مرة واحدة يوم أُصيبت خادمتها بجرح في إصبعها، ولكنني أذكر بكل تأكيد أن الآنسة آدمز لم تكن تضع نظارة فوق عينيها في ذلك الوقت.

ولما خرج بوارو وصاحبه الكابتن هيستنغز من عند الطبيب أخذا يتمشيان على جانب الطريق والشرطي السرّي البلجيكي يقول: إن الظواهر توحي بأن الوفاة كانت بشكل طبيعيّ. كانت الآنسة آدمز أمس متعَبة تشعر بإعياء شديد والفيرونال حاضر تحت يدها، فمن

المعقول أنها تناولت جرعة مضاعَفة لتضمن لنفسها نوماً عميقاً.

وساد الصمت برهة ثم هتف بوارو بصوت لفت أنظار المارّة قائلاً: ولكن... لا، لا! كيف تموت بشكل طبيعيّ في مثل تلك الدقيقة؟ لا، إن الأمر ليس موتاً طبيعيّاً وليس انتحاراً! إن كارلوتا بتمثيلها دور جين ولكنسون في بيت اللورد قد حكمت على نفسها بالموت، وما اختار العدوّ المجهول الفيرونال لقتلها إلاّ لعلمه بأنها تستعمله ولديها علبة مملوءة به، وهذا معناه أن القاتل يعرف كارلوتا ويعرف طباعها حقّ المعرفة. ولكن إلى أيّ شيء يرمز الحرف «د»؟

* * *

استوقف بوارو إحدى السيارات المأجورة وأمر السائق أن يمضي به إلى محلّ في جنيف للأزياء، وطلب بوارو من إحدى العاملات أن تخطر الآنسة درايفر بأن صديقاً للآنسة آدمز يطلب مقابلتها.

وبعد لحظات أزيح بعنف ستار من القطيفة يحجب الجزء الخلفي من الحانوت وبرزت على عتبته فتاة في عنفوان الشباب ذات حيوية واضحة وشعر مصقول. وقالت تخاطب بوارو: ماذا تريد؟

- هل لي شرف التحدّث مع الآنسة درايفر؟

- نعم، هل أوفدتك كارلوتا؟

- كيف هذا؟ ألم يبلُغك الخبر الأليم؟

- أيّ خبر أليم؟

– لقد ماتت الآنسة آدمز الليلة في أثناء نومها بعد أن تناولت جرعة قوية من الفيرونال.

فحملقت فيه الفتاة قائلة: ماذا؟! هذا فظيع! مسكينة كارلوتا، أنا لا أكاد أصدّق ما أسمع؛ لقد كانت أمس مملوءة صحّة وحياة!

– ولكن تلك هي الحقيقة يا آنسة. نحن الآن في الساعة الواحدة، فهل لك أن تشرّفيني وصديقي بتناول الغداء معنا فيزداد تعارفنا؟ فضلاً عن أنني أحبّ أن أوجّه إليك بعض الأسئلة.

فجعلت المرأة تنظر إلى بوارو من رأسه إلى قدميه بطريقة تثير الحنق ثم قالت بصوت جافّ: ومَن أنت؟

– اسمي هيركيول بوارو، وهذا صديقي الكابتن هيستنغز.

– لقد سمعت عنك من قبل، هيا بنا.

ولكنها قبل خروجها في رفقة الرجُلَين أصدرت تعليماتها إلى وكيلتها في إدارة المحلّ.

ولما جلسوا في المطعم قالت جيني درايفر: والآن أخبرني يا سيد بوارو بالحقيقة، إلى أيّ درك انحدرت كارلوتا المسكينة؟

– إذن فأنتِ تتوقّعين أنها كانت توشك أن تنحدر لحدٍّ ما؟

– أنت لم تُجِب بعد على سؤالي.

– هذا لأن نيّتي كانت معقودة على أن أتولّى أنا توجيه الأسئلة لا الإجابة، لقد قيل لي إنك صديقة حميمة لكارلوتا، فهل هذا صحيح؟

- نعم.

- حسناً، دعيني إذن أؤكّد لك قبل كل شيء أنني عاقد عزمي على أن أصون كرامة صديقتك الراحلة وأحميها من الأقاويل والشبهات.

ففكّرت جيني درايفر هنيهة ثم أحنت رأسها وقالت: أنا أصدّقك، فسَلْ ما بدا لك.

- هل تناولت كارلوتا الغداء معك أمس؟

- نعم.

- ألم تخبرك بما اعتزمت أن تفعله في المساء؟

- أخبرتني بشكل مبهم، لقد حدّثتني عن أشياء مختلفة أعتقد أن لها علاقة وثيقة بما جئت تستفسر عنه، ولكن حديثها ينبغي أن يظلّ طيّ الكتمان.

- هذا مفهوم.

- حسناً، لقد بدت لي كارلوتا شديدة الانفعال على غير عادتها، فلمّا سألتها عن ذلك أَبت أن تكاشفني بالأمر بحجّة أنها وعدت بالكتمان، ولكنني كنت موقنة من أن رأسها كانت محشوّة بشعوذة ضخمة.

- شعوذة؟!

- نعم، فتلك هي الكلمة التي استعملتها هي نفسها دون أن تذكر لي شيئاً من التفصيل بطبيعة الحال. أنا أعرف أن كارلوتا تكرّس كل وقتها لعملها وليست من الطراز المولع بالمزاح، وهي

لا تفعل شيئاً إلاّ إذا كان هناك شخص يدفعها إلى ذلك.

- أرجوك أن تزيديني إيضاحاً، أخبريني بكل ما يجول في ذهنك.

- إن كارلوتا مولعة بجمع المال وفي سبيله لا تحجم عن شيء، وأعتقد أن تلك «الشعوذة» ستأتيها بمال جسيم لأنني رأيتها شديدة التحمّس، وقد فهمتُ من إشارات مبهمة في حديثها أن الأمر يتعلّق برِهان وأنها موقنة من ربحه. وكان هذا هو الذي أدهشني؛ لأنَ عهدي بكارلوتا أنها لا تقامر أو تراهن، ومهما يكن فالأمر ذو صلة وثيقة بالمال.

- هل أفضت إليك بشيء معيّن؟

- لا، ولكنها حدّثتني عما تنوي في المستقبل فقالت إن في نيّتها أن تستدعي أختها المقيمة في أمريكا لتعيشا معاً في باريس. إنها تحبّ أختها حبّاً جمّاً. وأختها تحترف الموسيقى.

فهزّ بوارو رأسه قائلاً: كل هذا يؤيّد نظريتي؛ كنت أتوقّع أن الآنسة آدمز قد أقسمت على كتمان السرّ، غير أنني كنت أرجو أن ينطلق لسانها في حديثها معك لما بينكما من صداقة وثيقة.

- لقد حاولت أن أستدرجها في الحديث ولكنها أصرّت على الكتمان ووعدتني بأن تقصّ عليّ كل شيء فيما بعد.

- هل سمعتِها تتحدّث عن اللورد إدغوير؟

- الرجل الذي قُتل؟ لا. ولكن لا، انتظر. لقد نطقت كارلوتا بهذا الاسم أمامي مرة بلهجة تدلّ على الحقد.

- الحقد؟

- نعم، فقد قالت إن مثل ذلك المخلوق بقسوته وأنانيته يسمّم حياة الآخرين وإن موته خير للإنسانية.

- متى حدّثتك بذلك يا آنسة؟

- منذ شهر تقريباً.

- وبأية مناسبة؟

ففكّرت جيني درايفر برهة ثم قالت: لا أذكر، ولكن من المؤكّد أن ذلك الحديث كان بمناسبة ما تذيعه الصحف دائماً عن اللورد إدغوير. وقد بدا لي حقدها على ذلك الرجل عجيباً خصوصاً وأنها لا تعرفه.

فسألها بوارو: أتعرفين أن الآنسة آدمز معتادة على تناول الفيرونال؟

- لا، ولم أرَها تتناول المخدّرات مطلقاً ولم أسمعها تتحدّث عنها!

- هل رأيت في حقيبة يدها علبة صغيرة من الذهب عليها الحرفان «ك. آ.»؟

- لا.

- أتعرفين أين كانت الآنسة آدمز في نوفمبر الماضي؟

- دعني أتذكّر. نعم، لقد كانت في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي في الولايات المتحدة في نهاية الشهر تقريباً وكانت قبل ذلك مقيمة في باريس.

- هل كانت وحدها؟

- طبعاً؛ فكارلوتا ليست من الطراز الولوع بالمغامرات.

- أهناك رجل في حياة الآنسة آدمز؟

- لا؛ فأنا منذ عرفتها لم أرَها إلاّ منهمكة في عملها أو مهتمّة بشؤون أختها ومتاعبها، إنها تعتبر نفسها ربّة الأسرة بصفتها الأخت الكبرى. ولكن...

- ولكن ماذا؟

- لقد خُيّل إليّ أخيراً أن لكارلوتا علاقة ما.

- أحقاً؟

- ولكن أرجوك أن تلاحظ أن الأمر من ناحيتي مجرّد تخمين. لقد كنت أراها في بعض الأحيان شاردة الذهن فأرجعت الأمر إلى الحبّ ولكن يحتمل أن أكون مخطئة.

- أنا أشكر لك هذه المعلومات النفيسة يا آنسة، ولكن لا يزال لديّ سؤال واحد، هل بين صديقات الآنسة آدمز صديقة يبدأ اسمها بحرف «د»؟

ففكّرت جيني درايفر هنيهة ثم قالت: حرف «د»؟ لا، لا أعرف بين صديقاتها واحدة يبدأ اسمها بحرف «د».

ونسيت أن اسمها هي نفسها يبدأ بهذا الحرف، درايفر!

* * *

الفصل الحادي عشر

امرأة أنانية

فيما يبدو أن بوارو لم يكن يتوقّع منها غير هذا الجواب فلبث صامتاً هنيهة من الوقت وهو غارق في خواطره إلى أن قطعت عليه جيني درايفر استغراقه بقولها: والآن هل لك يا سيد بوارو أن تفضي إليّ بشيء مما تعلم؟

- بكل ارتياح. في الليلة الماضية قُتل اللورد إدغوير وهو جالس في غرفة مكتبه، ففي الساعة العاشرة مساءً دخلت عليه امرأة أعتقد أنها صديقتك كارلوتا آدمز، ولكنها كانت تنتحل اسم السيدة إدغوير وكانت تضع على رأسها شعراً مستعاراً متنكّرة في هيئة السيدة التي تعرفينها بلا شكّ، إنها جين ولكنسون الممثلة الشهيرة. ولكن الآنسة آدمز -إذا كانت هي الزائرة- لم تلبث في حضرة اللورد إلاّ دقائق معدودات ثم انصرفت، غير أنها لم ترجع إلى بيتها إلاّ بعد منتصف الليل، فلمّا أوت إلى فراشها تناولت جرعة كبيرة من الفيرونال. هذا هو كل ما أستطيع أن أفضي به إليك يا آنسة.

- أنا أوافقك يا سيدي على ما ذهبت إليه، لا بدّ أن تكون كارلوتا هي زائرة اللورد إدغوير؛ فقد اشترت قبّعة جديدة أمس.

- أحقاً؟!

- نعم، وكانت حريصة على أن تنتقيها من طراز يخفي الجانب الأيسر من وجهها.

- هذا مفهوم، فالقبّعة التي تحجب الجانب الأيسر من وجهها تساعدها على إخفاء ملامحها عن رئيس الخدم الذي يكون بطبيعة الحال واقفاً إلى اليسار ما دام باب القصر يفتح إلى هذه الناحية.

- ولكن أترتاب يا سيد بوارو في أن كارلوتا هي التي ارتكبت الجريمة لا لشيء إلاّ لأنها تحدّثت معي بالسوء عن اللورد؟!

- لا، لا. ولكنني أتعجّب من إفضائها إليك بتلك الأقوال، وبوُدّي أن أعرف الدافع إلى حقدها على اللورد إدغوير.

- أنا أستطيع أن أُقسِم بأنها ليست القاتلة، إنها غاية في الوداعة!

- تماماً، هذا هو رأيي أيضاً. إنّ كارلوتا وديعة ولا يمكن أن تقدم على تلك الجريمة، ودراسة علم النفس ضرورية في مهنتنا كما ترَين. نحن أمام جريمة عِلمية.

- علمية؟!

- نعم؛ فالقاتل يعرف الموضع الذي يجب أن يوجّه إليه طعنته بمنتهى الدقّة حتى يقضي على ضحيّته على الفور، فالطعنة أصابت مجمع الأعصاب المتصلة بالنخاع الشوكي.

- ربما كان القاتل طبيباً.

- أهناك طبيب بين أصدقاء الآنسة آدمز؟

- ليس في إنكلترا على الأقلّ وإلاّ لحدّثتني كارلوتا عنه.

- هل من عادة الآنسة آدمز أن تلبس نظّارة؟

- نظّارة؟ لا.

- أتعرف الآنسة آدمز الممثّل السينمائي بريان مارتان؟

- نعم، وعلاقتهما ترجع إلى عهد الطفولة، ولكنهما لا يتقابلان إلاّ نادراً؛ فكارلوتا تعتقد أن نجاحه ملأ نفسه غروراً.

ونظرت جيني درايفر في ساعتها ثم هتفت قائلة: إذا كنتَ قد فرغت من الاستفسار عمّا تريد مني فأرجوك أن تسمح لي بالانصراف.

وعلى أثر انصرافها قال بوارو مخاطباً كابتن هيستنغز: إنها امرأة موفورة الذكاء.

- وجذّابة.

- نعم، والحديث معها مُسَلٍّ طريف.

- ولكنها على شيء من جمود العاطفة، فموت صديقتها لم يؤثّر عليها على غير ما كنت أتوقّع.

- هذا معقول؛ فالنساء اللائي من هذا الطراز ضنينات بعَبراتهن.

- ولكن هل أسفر هذا الحديث عمّا كنت تبتغي؟

فهزّ بوارو رأسه قائلاً: لا؛ فقد كنت أرجو المزيد، كنت أرجو أن أكتشف الشخصية المرموز لها بحرف «د» صاحب العلبة

الذهبية، ولكن كارلوتا كانت فيما يظهر كتومة في كل ما يتّصل بشؤون غرامها. وهناك غير هذا مسألتان مهمّتان: الأولى هي الحديث الهاتفي الذي كانت كارلوتا تسعى إليه قُبيل نومها بالاتصال برقم معيّن في منطقة فيكتوريا، فهل كانت تريد أن تعلن إلى الرجل المجهول نجاحها في مهمّتها؟ وأين كانت فيما بين الساعة العاشرة ومنتصف الليل؟ أكانت على موعد مع ذلك الرجل وقابلته فكان حديثها الهاتفي مع صديقة لها مثلاً؟

- وما المسألة الثانية؟

- الخطاب الذي كتبته كارلوتا إلى أختها، فمن المحتمل أن تكون كارلوتا قد ضمّنت هذا الخطاب السرّ الذي كتمته عن جيني درايفر، ولن يكون في ذلك إفشاء لما ائتُمِنت عليه ما دام الخطاب سيصل إلى أختها بعد أسبوع من كتابته.

- لو أنها فعلت ذلك حقاً لانكشف السرّ بسهولة.

- ولكن الأمل ضعيف في هذا. والآن فلندرس الناحية الأخرى من الجريمة، أعني الأشخاص الذين ينتفعون من موت اللورد إدغوير.

- لدينا ابن أخيه وزوجته.

فقال بوارو مضيفاً: وهل نسيت الرجل الذي يريد أن يقترن بزوجته؟

- أتعني الدوق مارتون؟ ولكنه موجود في باريس.

- دفاعك هذا ينطوي على اعتراف بأن لدى الدوق دافعاً إلى القتل. وهناك أيضاً بقية أهل البيت، أي الخدم، فما يدريك أنهم لا

يحقدون على سيّدهم لسبب من الأسباب؟ وأرى أنه يحسن بنا أن نقابل جين ولكنسون مرّة أخرى؛ فقد تُدلي إلينا برأي وجيه.

ولما دخلا على جين ولكنسون وجداها تجرّب أيضاً قبّعة سوداء فدعتهما إلى الجلوس، وقال لها بوارو وهو يتأمّلها: أنت فنانة رائعة الجمال يا سيدتي.

فابتسمت قائلة: هذا يا سيد بوارو لأنني لا أحاول أن أمثّل دور الأرملة الحزينة، وإن كان لا بدّ من التمسّك بالمظاهر التقليدية. وبالمناسبة، لقد وصلتني برقية رقيقة من الدوق مارتون.

- أجاءتك من باريس؟

- نعم، وهي عبارة عن تعزية مكتوبة في قالب رسميّ ولكن بصيغة يمكن أن ألتمس بين سطورها معاني خفية كثيرة.

- أنا أهنّئك يا سيدتي.

فقالت بصوت يفيض بالابتهاج: ليتك تدرك يا سيد بوارو مبلغ سعادتي! أنا أسبح في بحر من الهناء. لقد انهدمت جميع العقبات التي كانت تعترض طريقي من تلقاء نفسها وتَفتّح أمامي مستقبل عظيم!

فشعر الكابتن هيستنغز بالاشمئزاز من تلك المرأة التي تعتقد أن مقتل زوجها نعمة كبرى، أمّا بوارو فنظر إليها قائلاً: إذن فأنت ترَين يا سيدتي أن كل شيء على ما يرام؟

- طبعاً؛ فقد تمّ كل شيء طبقاً لما أشتهي. لقد كنت طَوال الأيام الأخيرة أقول لنفسي: لو أن اللورد إدغوير اختفى! وها هو ذا يموت فجأة. أليس هذا بديعاً؟

فسعل بوارو وقال: ولكنني يا سيدتي لا أستطيع أن أنظر إلى مصرع زوجك مثل هذه النظرة المتفائلة؛ فهناك شخص قتل اللورد إدغوير. ألم تسألي نفسك مرّة عمّن يكون القاتل؟

- وما أهمية ذلك؟ الأمر لا يعنيني في شيء، حسبي أنني سأتزوّج الدوق بعد بضعة شهور وهذا هو ما يهمّني.

- أنا أعرف ذلك يا سيدتي، ولكن بصرف النظر عن هذا ألا يهمّك أن تعرفي قاتل زوجك؟

- في الحقيقة لا يهمّني.

وبدا على بوارو أن إجابتها أدهشته فأردفت قائلة: إن اكتشاف القاتل من مهمّة الشرطة وليس من شأني، وأعتقد أن رجال اسكتلنديارد سيوفَّقون في مهمّتهم لأنهم أكفاء، أليس كذلك؟

- هذا هو ما يقال، وأنا أيضاً مكلَّف بالبحث عن القاتل.

- أحقاً؟ هذا غريب.

- ولماذا يبدو غريباً؟

- لا أدري.

وتناولت ثوباً من الحرير الأسود وبسطته على قوامها الرشيق وراحت تتأمّل صورتها في المرآة، فقال بوارو يسألها: ألا ترَين في هذا ما يدعو إلى المضايقة؟

- بل أنا على العكس أتمنّى لك النجاح من كل قلبي.

- تمنياتك يا سيدتي لا تكفيني؛ فأنا أريد رأيك.

- رأيي؟ في أيّ شيء؟

- مَن الذي قتل اللورد إدغوير في اعتقادك؟

- ليست لديّ أية فكرة عن هذا.

وانهمكت في المفاضلة بين ثيابها، فقال بوارو بصوت حادّ النبرات: سيدتي، مَن تظنين قد قتل زوجك؟

وفي تلك المرّة أفلح بوارو في إدراك غرضه، فقد تحوّلت إليه جين وقالت: غيرلدين بلا شكّ.

- ومَن غيرلدين؟

وللمرّة الثانية انهمكت جين في اختيار الثوب وقالت تخاطب وصيفتها: أليس، ارفعي الكمّ الأيمن قليلاً، نعم هكذا. غيرلدين هي ابنة اللورد إدغوير. لا يا أليس، الكمّ الأيمن فقط، هذا أحسن. أتبغي الانصراف يا سيد بوارو؟ أنا شاكرة لك مسعاك في مسألة طلاقي وإن كانت الحوادث التي تعاقبت قد جعلته عقيماً. ضعي هذه الوردة هنا يا أليس. نعم، لا بدّ أن تكون غيرلدين هي القاتلة. إلى اللقاء يا سيد بوارو.

وعندما انصرف الصديقان قال الكابتن هيستنغز: يا لها من امرأة أنانية! تتحدّث عن مقتل زوجها في نفس الوقت الذي تجرّب فيه ثوباً جديداً وتبدي من الاهتمام بالثوب أضعاف ما تبدي من الاهتمام بمصرع زوجها.

فتمتم بوارو قائلاً: إنها امرأة مدهشة!

* * *

الفصل الثاني عشر
ابنة اللورد إدغوير

عندما وصل السيد بوارو إلى بيته وجد في انتظاره خطاباً من ابنة اللورد إدغوير الآنسة غيرلدين تخطره فيه بأنها علمت برغبته في مقابلتها حين حضر إلى القصر في أثناء نومها وترجوه أن يخصّها ببضع دقائق بعد الظّهر لأنها تريد أن تقابله.

فقال بوارو لهيستنغز: أنا أسائل نفسي عن السرّ في رغبتها في مقابلتي! هيا بنا إليها.

وعندما ذهبا إليها قالت: أنا شاكرة لك يا سيد بوارو تفضّلك بالمبادرة إلى زيارتي ويؤسفني أنني لم أقابلك هذا الصباح.

- أكنت نائمة؟

- نعم، لقد أصرّت سكرتيرة أبي الآنسة كارول على ضرورة نومي. إنها الطيبة مجسَّمة.

- وهل أستطيع أن أسدي إليك أية خدمة يا آنسة؟

فتردّدت قليلاً ثم قالت: في صباح يوم الحادث حضرتَ لزيارة أبي.

- هذا صحيح يا آنسة.

- ما سبب تلك الزيارة؟ أهو الذي استدعاك؟

فلبث بوارو صامتاً لا يردّ جواباً فاسترسلت الفتاة قائلة: أخبرني يا سيد بوارو، أكان أبي يخشى شيئاً معيّناً؟ عن أيّ شيء حدّثك؟ أرجو أن تجيبني.

فمال بوارو ناحية الفتاة وقال: الحديث الذي دار بيني وبين اللورد إدغوير سرّي لا ينبغي إفشاؤه.

- أكان متعلّقاً بالأسرة؟ إن صمتك يا سيدي يعذّبني فأرجوك أن تتكلّم، يجب أن أعرف الحقيقة.

ولكن بوارو هزّ رأسه مُصرّاً على الصمت، فهتفت الفتاة قائلة: أرجوك أن تتذكّر يا سيد بوارو أنني ابنته ومن حقي أن أعرف ما الذي كان يخشاه.

فقال بوارو بصوت رقيق: إذن فأنت تحبّين أباك يا آنسة.

فجفلت ودُهشت ثم قالت: وإن كنت لا أحبّه، أنا... أنا...

وعلى حين فجأة فقدت سيطرتها على أعصابها وانفجرت تضحك ضحكات عصبية أشبه بضحكات المجانين، وفُتح الباب وظهرت الآنسة كارول وأقبلت على الفتاة تقول: ماذا جرى يا غيرلدين؟ ماذا جرى يا ابنتي؟ أنا لم أسمعك تضحكين هكذا من قبل! كُفّي عن الضحك، كُفّي حالاً!

وكان لصوتها الآمِر الأثر المطلوب فكفّت الفتاة عن الضحك واستعادت هدوءها ثم قالت بصوت منخفض: أنا آسفة، هذا لم يحدث لي من قبل.

ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة وقالت: لقد سألني يا آنسة كارول عمّا إذا كنت أحبّ أبي، فهل أكذب عليه أم أصدُقه القول؟ اسمع يا سيدي. أنا لا أحبّ أبي، بل أكرهه!

فهتفت الآنسة كارول قائلة: غيرلدين، لا تقولي هذا!

- ولماذا الإنكار؟ ليس هناك ما يدعوك إلى بُغضه ما دام ليس أباً لك! إن علاقتك به لا تضعك تحت سلطته وكل ما يهمّك هو الأجر الذي يدفعه لك، أمّا شذوذ تصرّفاته وغضبه فلا يخيفانك في شيء ولا تكترثين لهما. أنا أعرف أنك ستقولين: "إن لكل إنسان متاعبه في الحياة". ولكنك امرأة قوية الأعصاب شديدة الاحتمال، وفضلاً عن ذلك في وسعك أن تغادري هذا البيت متى شئت، أمّا أنا فلا.

فقالت الآنسة كارول بصوت رقيق: أنا لا أرى يا غيرلدين ما يدعو إلى إثارة هذا الموضوع؛ فالخلاف الذي قد ينشب بين فتاة وأبيها من الأمور التي يحسن كتمانها.

وتحوّلت غيرلدين إلى الشرطي السرّي البلجيكي وقالت: أنا أكره أبي يا سيد بوارو، وموته يأتيني بالحرّية والاستقلال، والبحث عن قاتله لا يهمّني في شيء، وأعتقد أن لدى القاتل بلا ريب أسباباً قوية تبرّر ما فعل.

فقال بوارو: أنا أرى موقفك يا آنسة مليئاً بالخطر.

- وهل إعدام القاتل يمكن أن يردّ أبي إلى الحياة؟

- لا، ولكن يمكن أن يصون حياة قوم آخرين.

- ماذا تقصد؟

- إن من يرتكب جريمة قتل لا يتردّد في الإقدام على جريمة أخرى، بل جرائم أخرى.

- أنا أستبعد ذلك، إلاّ أن يكون القاتل مخبولاً!

- أنت مخطئة في هذا يا آنسة؛ فالجريمة الأولى تُرتكب غالباً بعد صراع نفسيّ عنيف، ثم لا يلبث الخوف من اكتشاف الجريمة الأولى أن يدفع بالقاتل إلى ارتكاب جريمة ثانية بتردّد أقلّ، ثم إذا به يُقدم على الجريمة الثالثة لأقلّ شبهة وبغير تردّد. وهكذا يصبح القتل عنده عادة مزمنة ثم ينقلب الأمر، فإذا الرغبة في القتل تصبح شهوة قوية تجعله يُقدم عليه على سبيل التسلية.

فأخفت الفتاة وجهها بين يديها وقالت: هذا فظيع! ولكنه غير حقيقيّ!

- ماذا تقولين إذا قلت لك بغير لَبس أو مواربة إن القاتل كي ينقذ نفسه من المشنقة قد ارتكب فعلاً جريمة ثانية؟

فصاحت الآنسة كارول قائلة: ماذا تقول يا سيّدي؟ جريمة ثانية؟! أين؟ ومن الذي قُتِل؟

فهزّ بوارو رأسه نافياً وقال: يؤسفني أنني مضطرّ إلى الكتمان، كل ما في الأمر أنني أردت أن أضرب مثلاً.

- فهمت، لقد ظننت...

فصاحت الآنسة كارول: غيرلدين، يجب أن تكفّي عن هذه الحماقات!

فقال بوارو: أنا أراك يا آنسة كارول تشاطرينني رأيي.

- أصارحك بأنني لست من أنصار الحكم بالإعدام ولكنني أشاطرك رأيك في أنه يجب أن يعاقَب المجرمون لمصلحة العدالة والمجتمع.

وأرسلت غيرلدين شعرها إلى الخلف ورفعت رأسها قائلة: سيد بوارو، أنا أرى أنك ترفض أن تخبرني بالسبب الذي من أجله استدعاك أبي.

فقالت الآنسة كارول بدهشة: استدعاه؟!

فقال بوارو وقد رأى نفسه مضطرّاً إلى الكلام بغير مواربة: أنت تفسّرين كلماتي يا آنسة على وجه لم أقصده، فأنا لا أرفض أن أجيبك، كل ما في الأمر أنني أردت أن أستوثق من مبلغ سرّية حديثنا. إن أباك لم يستدعِني يا آنسة، بل أنا الذي طلبت موعداً لمقابلته موفَداً من قِبَل إحدى عميلاتي، السيدة إدغوير.

- يا إلهي! لقد فهمت.

ولاحت أمارات الارتياح على وجه الفتاة وقالت: ما أشدّ غبائي! لقد توهّمت أن هناك خطراً كان يهدّد أبي.

وانبرت الآنسة كارول تقول: أتعلم يا سيد بوارو أنك أفزعتني عندما قلت إن تلك المرأة قد أقدمت على جريمة ثانية؟

فلم يُجِبها بوارو وإنما التفت إلى الفتاة وقال: أتعتقدين أن السيدة إدغوير هي التي ارتكبت الجريمة؟

- لا، أنا لا أعتقد هذا، هي في نظري غير أهل لارتكاب تلك الجريمة؛ فهي... ماذا أقول؟ إنها...

فقاطعتها الآنسة كارول قائلة: أمّا أنا فأعتقد أنه ليس هناك مَن

هو أجدر منها بارتكاب تلك الجريمة.

فقالت غيرلدين: من المحتمل أنها جاءت إلى القصر وتحدّثت مع أبي ثم انصرفت على الفور و بعد ذلك تسلّل القاتل إلى القصر فارتكب جريمته، وفي اعتقادي أن ذلك القاتل لا بدّ أن يكون مجنوناً.

فأردفت الآنسة كارول قائلاً: إن المجرم ليس في الواقع إلاّ مريضاً، فقد ثبت طبّياً أن الإجرام نتيجة اضطراب في إفرازات الغدد.

وفُتح الباب في تلك اللحظة ودخل رجل ولكنه جمد في مكانه ونظر إلى الحاضرين قائلاً: معذرة؛ كنت أجهل أن هنا ضيوفاً.

فقدّمته غيرلدين بقولها: ابن عمّي اللورد إدغوير، السيد بوارو. ادخل يا دونالد فوجودك لن يضايقنا.

- أحقاً؟ أرجو يا سيد بوارو أن تكون قد استطعت بذكائك أن تميط اللثام عن هذا اللغز الذي يحيّر الأسرة.

وذكر الكابتن هيستنغز أنه سبق أن رأى ذلك الشاب من قبل ولكنه لا يتذكّر أين رآه. وفجأة قال هيستنغز في نفسه: يا إلهي! إنه الشاب الذي كان في رفقة كارلوتا آدمز في تلك الليلة التي تناول فيها العشاء في جناح جين ولكنسون في فندق سافوي. لقد كان يُدْعى يومذاك الكابتن مارشي، أمّا الآن فقد انتقل إليه لقب عمّه القتيل فصار يُدعى اللورد إدغوير.

* * *

الفصل الثالث عشر
ابن الأخ

لم يغِبْ عن اللورد إدغوير أن الكابتن هيستنغز ينظر إليه بدهشة فقال له بمرح وبساطة: أنت تذكر بلا شكّ العشاء الذي تناولناه عند العمّة جين، لقد كنت في تلك الليلة ثملاً قليلاً وأرجو أن لا يكون الحاضرون قد فطنوا إلى ذلك.

واستأذن بوارو في الانصراف فقال دونالد: سأرافقكما.

وسبقهما إلى الدرَج وهو لا يزال يتكلّم قائلاً: ما أغرب الحياة! بالأمس كنت مطروداً من هذا البيت محرَّماً عليّ دخوله، واليوم صرت السيد المطاع! لقد طردني عمّي منذ ثلاثة أعوام، وأظنّك تعرف ذلك يا سيد بوارو.

- لقد بلغني ذلك.

- إنني أحيّي ذلك الرجل العظيم الذي قتل عمّي، الرجل الذي أسبغ عليّ في لحظة واحدة هذا اللقب الرفيع. بالأمس كنت مهدَّداً بالخراب أمّا اليوم... ما أعجب تصاريف القدَر!

ثم التفت إلى بوارو وقال: والآن فلنكفّ عن المزاح. ما الذي

أتى بك يا سيد بوارو؟ منذ أربعة أيام قالت العمّة جين بلهجتها التمثيلية: ألا أجد مَن يخلّصني من هذا الظالم المستبد؟ ثم إذا بها حرّة طليقة! أنا أرى يا سيد بوارو أنك ذو نفع عظيم، وأعتقد أنك ستكتب على بطاقتك هذه الجملة الطريفة: «السيد بوارو شرطيّ سرّيّ سابقاً وقاتل حالياً».

فابتسم بوارو وقال: لقد حضرتُ بعد ظهر اليوم تلبيةً لدعوة الآنسة غيرلدين.

- أنا أهنّئك يا سيد بوارو بتكتّمك ومواربتك. أنت لم تُجِب على سؤالي: ما الذي دفعك حقيقةً إلى الحضور؟ أنا أرى أنك تهتمّ بمقتل عمّي لسبب أجهله.

- أنا أهتمّ بالجرائم عادةً يا لورد إدغوير.

- إذن فلست أنت القاتل، ولكنك بصفتك خبيراً فنيّاً لا بدّ أن تكون قد أسديت إلى العمّة جين نصائح قيّمة علّمتها الحذر. وبالمناسبة اسمح لي بأن ألقّبها دائماً بالعمّة جين، فهو لقب يعجبني وإن كان يضايقها. أتذكر ليلة العشاء حين لقّبتها بذلك فأرغت وأزبدت؟ ولكني ألتمس لها عذراً أنها تجهل شخصيتي.

- تجهل شخصيتك؟!

- نعم؛ لأنني طُردتُ من هذا القصر قبل وصولها بثلاثة شهور فلم يقدّمني إليها أحد.

ثم استطرد يقول بنفس اللهجة المرِحة غير المكترثة: إنها امرأة فاتنة ولكنها مجرَّدة من الذكاء، فهيَ تستخدم طرقاً ساذجة مكشوفة. أليس هذا هو رأيك أيضاً؟

فهزّ بوارو كتفيه وقال: ربما.

- إذن فأنت تعتقد أنها بريئة. يظهر أنها خلبت لبّك.

فقال بوارو بصوت هادئ: الواقع يا لورد إدغوير أنني مولع بالجمال و... بالدليل.

- الدليل؟ ماذا تقصد؟

- لعلك تجهل يا لورد إدغوير أن السيدة إدغوير حضرت وليمة في شيسويك مساء أمس في نفس الوقت الذي يؤكّدون أنها كانت موجودة فيه في هذا القصر؟

فغضب دونالد ثم قال: إذن فقد حضرت المأدبة؟! هكذا شأن النساء دائماً، في الساعة السادسة تشكو الصداع وتُقسِم بأنها ستأوي إلى فراشها وفي الساعة السادسة وعشر دقائق ترتدي ثيابها وتسرع إلى المأدبة! على المرء وهو يُعِدّ العدّة لارتكاب الجريمة أن لا يعوّل على ما تزعم امرأة أنها ستفعله وإلاّ أفسد بهذا التعويل خطّته وكشف سرّه. ولكن لا تحسَب يا سيد بوارو أنني بهذا القول أتّهم نفسي وأعلن أنني أنا القاتل، فكلّ ما في الأمر أنني أرى الاتهام ماثلاً في عينيك. نعم؛ فإلى مَن يمكن أن توجّه التهمة إذا لم توجّه إلى ابن الأخ العربيد؟

ثم ضحك واسترسل قائلاً: سيد بوارو، أنا في هذه اللحظة أستطيع أن أتنبّأ بما يجول في خاطرك. لا فائدة من أن أطلب منك أن تتحرّى عمّا إذا كنتُ في ساعة ارتكاب الجريمة قد شوهدت في حانات لندن المختلفة لأنك ستجد مَن يشهد بأنه رآني ولكنك ستقول لنفسك: "وما يدريني؟ لعله تسلّل إلى القصر فارتكب جريمته ورجع إلى الحانة مسرعاً دون أن يشعر أحد بغيابه". نعم

يا سيد بوارو، أنت تسائل نفسك عمّا إذا كان ابن الأخ الشرّير قد حضر إلى القصر متنكّراً في زيّ امرأة وعلى رأسه شعر مستعار أشقر وقبّعة من باريس، وأنت طبعاً تشاطر صديقك الرأي يا كابتن هيستنغز.

وشعر الكابتن هيستنغز بالحرج من ذلك السؤال فغضّ بصره، واسترسل اللورد إدغوير الشاب قائلاً: ويجب أن أذكر لك قبل أن أنسى أن لديّ دافعاً إلى القتل، فصباح أمس حضرتُ لمقابلة عمّي، لماذا؟ كي أطلب منه مالاً. نعم، كي أطلب منه مالاً، فلا تلعق شفتيك يا سيد بوارو! ولكنه أبَى أن يعطيني شيئاً فخرجت مزمجراً وفي نفس الليلة قُتل اللورد إدغوير!

وسكت برهة في حين ظلّ السيد بوارو صامتاً، فاستطرد يقول: أنا لا أمثّل دوراً يا سيد بوارو، بل أتكلّم جاداً. نحن نقول إن ابن الأخ الشرّير هو الذي ارتكب الجريمة ثم أراد أن ينفي التهمة عن نفسه بإلقاء الشبهة على العمّة الرديئة التي تعلن على ملأ من الناس أنها تريد أن تتخلّص من زوجها ولو بقتله. وابن الأخ كان فيما مضى معروفاً بقدرته على تمثيل أدوار النساء، فما الذي يمنعه من أن يعيد التجربة الآن ويستخدم موهبته في إدانة العمّة جين؟ فها هو ذا يتّخذ صوتاً نسائيّاً ويعلن أن اسمه السيدة إدغوير ثم يسير إلى قاعة المكتبة بخطوات رشيقة، فإذا ما رآه عمّه هتف يقول بتأثّر: "جين!" فيجيبه ابن الأخ المتنكّر: "جورج!"، ثم يطوّقه بذراعيه ليعانقه وفي نفس اللحظة يستلّ المدية ويغمدها في عنق العمّ المسكين، وعلى أثر ذلك تخرج الزوجة المزيّفة دون أن يشعر أحد بما فعلت.

ثم أخذ الشاب يضحك وأفرغ في جوفه كأساً من الخمر

ومضى يقول: كل شيء يسير على ما يرام، ولكن هناك نقطة أخرى ستشوّه هذه الحكاية الطريفة، أعْني هل من الممكن أن تُثبِت أن ابن الأخ الشرّير كان موجوداً في مكان آخَر ساعة ارتكاب الجريمة؟ صدّقني يا سيد بوارو. أنا لا يعجبني في القصص البوليسية شيء كما يعجبني إثبات وجود المتهم في مكان غير مكان الجريمة وقت وقوعها، ويبدو أن في وسعي أن أقدّم ثلاثة شهود يشهدون بذلك وهم السيد والسيدة والآنسة دورتيمر، وهم كما تعلم من أغنياء اليهود وفي وسعهم أن يشهدوا بأنني أمضيت السهرة معهم في مسرح كوفنت غاردن بدعوة منهم. لعلك قد أدركت الآن السبب الذي جعلني أتكلّم بقِلّة اكتراث ما دام دليل النفي حاضراً.

ثم ارتمى على أحد المقاعد وهو يقول: أرجو أن لا أكون قد أضجرتك، وإذا كان لديك أيّ سؤال فلا تتردّد في توجيهه إليّ.

فقال بوارو: ثق أنك لم تضجرني، وما دمت مستعداً للإجابة على أسئلتي فدعني أوجّه إليك سؤالاً صغيراً. كم مضى من الوقت منذ تعرّفت على كارلوتا آدمز؟

فحملق فيه الشاب؛ إذ لم يكن يتوقّع مثل ذلك السؤال وقال: ولماذا تسأل؟ أية علاقة لكارلوتا بما نحن فيه؟

- مجرّد فضول من ناحيتي.

- أنا أعرف كارلوتا آدمز منذ حضورها إلى لندن في أوّل الموسم.

- أتعرفها جيّداً؟

- بما فيه الكفاية، فهي فتاة متحفّظة لا تشجّع من يعرفها

على شدّة التآلف.

- ولكنك تحبّها.

فتفرّس فيه دونالد وقال: أنا أريد أن أعرف الباعث الذي يحملك على توجيه كل هذه الأسئلة. ألأنّك شاهدتها في رفقتي منذ أيام؟ نعم أحبّها، إنها فتاة ظريفة وإذا تحدّثتَ معها ولو بكلام سخيف فارغ أصغت إليك بانتباه مما يشعرك بأنك في هذه الدنيا شيء مذكور.

فأحنى بوارو رأسه مؤمناً وقال: في هذه الحالة ستشعر بحزن شديد.

- حزن شديد؟! لماذا؟

- لأنها ماتت.

فهبّ دونالد واقفاً وهو يقول: ماذا؟ كارلوتا ماتت؟!

وكان وجهه ممتقعاً حين استطرد قائلاً: أنت تمزح يا سيد بوارو! لقد كانت كارلوتا بصحّة جيّدة حين التقيت بها في المرّة الأخيرة.

- ومتى كان ذلك؟

- أوّل أمس فيما أذكر، فذاكرتي ضعيفة.

فقال بوارو مكرّراً: لقد ماتت كارلوتا.

- هل أصابها حادث؟ هل صدمتها سيّارة؟

- لا، بل تناولت جرعة قوية من الفيرونال.

- يا إلهي، يا للصغيرة المسكينة! هذا شيء يؤسَف له. لقد بدأت تكوّن لنفسها اسماً وكانت تفكّر متحمّسة لأن تستدعي أختها المقيمة في أمريكا لتعيش معها هنا. هذا حقاً شيء يؤسَف له.

- أجل، فالموت في عنفوان الشباب شيء يثير الأسى لا سيّما وقد بدأت الحياة تتفتّح أمامها.

فتفرّس فيه دونالد وقال: أنا لا أتبيّن جيّداً ما ترمي إليه يا سيد بوارو.

- حقاً، أنا في بعض الأحيان أعبّر بطريقة جافّة عمّا يجول بخاطري، إذ لا شيء يثيرني مثل أن أرى الشباب يُحرَم من حق الحياة، وقد أحزنني موت تلك الفتاة. إلى اللقاء يا لورد إدغوير.

فقال دونالد بدهشة: طبعاً، طبعاً! إلى اللقاء يا سيدي.

وعندما فتح الباب كاد يصطدم بالآنسة كارول التي بدا أنها كانت تسترق السمع ولكنها أسرعت تقول: عذراً يا سيد بوارو، فقد أخبروني أنك لا تزال هنا. أيمكنني أن أفضي إليك بكلمة صغيرة؟ تفضّل بالصعود إلى غرفتي إذا لم يكن في هذا ما يضايقك، أنا أريد أن أتحدّث معك بشأن غيرلدين.

ولما صعد بوارو وهيستنغز إلى غرفة السكرتيرة استهلّت حديثها بقولها: أرجوك يا سيدي أن لا تعلّق أهمية على ما قالته غيرلدين؛ فهي في حزنها وثورتها حقيقةً بأن تردّد كلاماً سخيفاً.

- لقد أدركت يا سيدتي أنها كانت تعاني من صدمة عصبية.

- ومع هذا لست أكتم عنك أن حياتها كانت كئيبة، فاللورد

إدغوير ليس من أنصار تعليم الفتاة وقد كان يسوم ابنته سوء العذاب.

- لقد خُيّل إليّ هذا.

- إنه رجل مستبدّ شديد التعسف ويحبّ أن يشعر بأن مَن حوله يخافونه ويرهبون جانبه، وعلى رغم استنكاري لما فعلته السيدة إدغوير إلاّ أنني أقرّها على أن هجرانها لزوجها كان الوسيلة الوحيدة للتخلّص من استبداده، أمّا غيرلدين المسكينة فما كان في وسعها طبعاً أن تهجر أباها. وهناك شيء يجول في خاطري أتردّد في الإفضاء به لغرابته.

- أرجوك أن تتكلّمي يا آنسة.

- يخيّل إليّ أن اللورد إدغوير كان يقسو على ابنته انتقاماً من زوجته الأولى التي هربت منه وخلّفتها له طفلة صغيرة، وأنا أكاشفك بكل هذا حتى أبدّد ما عراك من الدهشة وأنت تسمع فتاة تقول إنها تبغض أباها، فلو أنك كنت تعرف اللورد إدغوير حقّ المعرفة لما استغربت من ابنته هذا الكلام.

- أنا أشكر لك يا آنسة هذه المعلومات النفيسة، ولكن هل تعتقدين أن اللورد إدغوير كان يفكّر في الزواج للمرة الثالثة؟

- وكيف كان ممكناً أن يتسنّى له الزواج وزوجته على قيد الحياة؟

- إذا طلّقها صار هو نفسه حرّاً.

فابتسمت الآنسة كارول ابتسامة خفيفة وقالت: أعتقد أنه اكتفى بما لقي متاعب مع زوجتَيه.

- إذن في اعتقادك أنه لم يكن هناك مشروع ثالث للزواج؟ فكّري جيّداً يا آنسة. ألا تعرفين أنه كان هناك مشروع ثالث؟

فاحمرّ وجه الآنسة كارول قليلاً وقالت: لا أرى ما يدعوك إلى الإلحاح في هذه النقطة. طبعاً لم يكن هناك أيّ مشروع لزواج جديد.

* * *

الفصل الرابع عشر

خمسة أسئلة

بعد أن انصرف بوارو قال له الكابتن هيستنغز: ما الذي جعلك تسأل الآنسة كارول بإلحاح عن مشروع الزواج الثالث؟

- لقد خطر لي أنها تعرف شيئاً من هذا القبيل، ويهمّني أن أكتشف السبب الذي حمل اللورد إدغوير على تعديل نظره في مسألة الطلاق لأنها تبدو في رأيي عجيبة شاذة. لقد ساقت إليه زوجته كثيراً من رجال القانون فأبى أن يلبّي رجاءها وعلى حين بغتة تراه يوافق على الطلاق!

- ربما، فليس لدينا حتى الآن أيّ دليل على أنه كتب الخطاب المفقود، وإذا كان قد كتبه فعلاً فلا بدّ أنه فعل ذلك بدافع معيّن.

- وهذا الدافع فيما أظنّ هو أنه التقى بامرأة ثالثة فرغب في زواجها.

- ولكن الآنسة كارول استبعدت هذا الاحتمال بطريقة حاسمة.

- أجل، الآنسة كارول.

وكانت لهجته تنمّ عن الريبة فقال الكابتن هيستنغز: وما الذي يدعوها إلى الكذب وهي تبدو امرأة أمينة شريفة؟

- أنا لا أطعن في أمانتها، فبين الكذب المقصود وغير المقصود فارق طفيف، وهي قد أكّدت لنا أنها رأت وجه السيدة إدغوير مع أنها لم ترَه. وتفسير ذلك أنها سمعت الزائرة تذكر أنها السيدة إدغوير ثم عرفتها من مشيتها وصوتها فأيقنت أنها السيدة بعينها، ولما سألناها عمّا إذا كانت قد رأت وجهها ردّت بالإيجاب، أي بما يؤكّد أن تلك هي السيدة إدغوير دون أن تحاول أن تستعيد إلى ذهنها التفصيلات الصغيرة ومنها رؤية الوجه أو عدم رؤيته. إنها تعتقد اعتقاداً جازماً لا شكّ فيه أن تلك هي السيدة إدغوير، فلا بدّ إذن أن تكون قد رأت وجهها. وهذا الشعور الذي مصدره العقل الباطن يطغى حتى على الحقائق والتفصيلات الصغيرة.

وكذلك في مسألة الزواج للمرّة الثالثة، فهي تستنكر مثل تلك الفكرة ولا تتصوّر إمكان وجودها، ولهذا تجيب بيقين بأنه لم يفكّر في الزواج. وكذلك كان شأنها عندما سألناها عمّا إذا كان للقتيل أعداء، فهي تعلم أنه رجل قاسٍ جبّار يثير العداوة ولكنها لا تتصوّر أننا نعيش في عصر العداوة والأعداء ولهذا أجابت بالنفي وبغير تردّد.

- أصبت، لقد جعلتني الآن أكاد أشكّ في أقوال جميع الشهود!

- ولكن صبراً، يُخيّل إليّ أنني عرفت ما يدفعها إلى الكذب إن كانت قد كذبت، لقد خطرت لي فكرة معيّنة.

- وما هي؟

أبى أن يتكلّم فقال الكابتن هيستنغز: يُخيّل إليّ أن الآنسة كارول تحبّ غيرلدين.

- أجل، ولهذا كانت شديدة الاهتمام بأن تقصر استجوابها، ولكن ما رأيك في الفتاة يا هيستنغز؟

- لقد رثيتُ لحالها.

- طبعاً، فأنا أعلم أنك تعطف على الجمال المنكوب!

- مهما يكن الأمر فأنا أعتقد أن التهمة التي وجّهتها جين ولكنسون إليها لا تستند إلى أساس.

- إن دليل نفيها حاضر على أيّ الأحوال وإن كان لا بدّ من التأكّد من وجودها في المسرح أو عدم وجودها، فموقفها قد يثير حولها الشبهات، وهي تصارحنا بأنها تبغض أباها وأنها فرحت لموته وأن القبض على القاتل لا يعنيها في شيء.

- ولكن صراحتها تدعم براءتها.

- إن الصراحة فيما أرى وراثية في هذه الأسرة، أتذكر كيف كان اللورد إدغوير الشاب يتكلّم بصراحة تامّة؟ ولكن الشيء الذي أضحكني أنني أربكته عندما سألته فجأة عمّا إذا كان يعرف كارلوتا آدمز. أرأيت كيف اضطرب في تلك اللحظة؟

- ولكن يُخيّل إليّ أنه كان صادقاً في حزنه على الفتاة.

- ربما، فليس في وسعي أن أقطع في الأمر برأي حاسم، ولكنك لو أمعنت التفكير لرأيت أنه لم يصارحنا إلاّ بما كان

منتظراً أن نعرفه من طريق آخر، فصراحته من هذه الوجهة حكمة ودهاء.

- أتقصد ذلك الخلاف الذي شجر بينه وبين عمّه؟

- نعم، فممّا لا شك فيه أنه كان علينا أن نعرف تلك المسألة حتى لو لم يكاشفنا هو بها.

- إذن فهو أدهى مما كنت أعتقد!

- والآن هيا بنا نذهب إلى المطعم، ففي نيّتي أن أذهب لمقابلة السير مونتاغو بعد العشاء.

* * *

قال بوارو فجأة وهما يغادران المطعم: أتعرف يا هيستنغز أنك تسدي إليّ دائماً خدمات كبيرة وأنني لا أستطيع أن أستغني عن مساعدتك؟

وكاد هيستنغز لا يكاد يسمع من صاحبه إلاّ الغمز واللمز والتنديد بغباوته وعدم قدرته على الفهم فسرّه ذلك الثناء وقال: أحقاً؟ شكراً لك. ولكن ما الاستنتاجات الصائبة التي أدليتُ بها لك؟

- لا شيء طبعاً؛ فأنت لست من الطراز الذي يستطيع أن يستنتج شيئاً صائباً. كل ما في الأمر أنك تفكّر تفكير الرجل العادي، وفي بعض الأحيان أفترض أنا في تحليلي للجرائم افتراضات ترتفع عن مستوى تفكير المجرم العادي فتلفتني أنت بذكائك المتوسّط إلى تحليلك للجريمة فيُخيّل إليّ أنك تتكلّم بلسان المجرم نفسه، ومن هنا ترى أنك ذو نفع عظيم لي!

صمت الكابتن هيستنغز دون أن يدري إذا كان ما قاله بوارو ذمّاً أم ثناء، واسترسل بوارو قائلاً: لقد قطعت في تحليل الجريمة ودراستها مرحلة كبيرة وفي وسعي أن أضع الآن خمسة أسئلة وفي الإجابة عنها إماطة اللثام عن اللغز و...

فقال الكابتن هيستنغز مقاطعاً: والسؤال الأوّل طبعاً هو: مَن الذي قتل اللورد إدغوير؟

- لا يا صديقي؛ فهذا سؤال سابق لأوانه. أنت الآن أشبه بقارئ الرواية البوليسية، فهو في الصفحة الأولى يريد أن يعرف القاتل دون أن يهتمّ بمعرفة التفصيلات والظروف المختلفة للجريمة. أنا لا أسأل نفسي عمّن يكون القاتل مطلقاً؛ فالوصول إليه يأتي من تلقاء نفسه ونتيجة لأسئلة أخرى، ولكن... فيمَ كنت أتحدّث؟ نعم، كنت أقول لك إنني وضعت خمسة أسئلة. السؤال الأول هو: ما الذي جعل اللورد إدغوير يغيّر رأيه في مسألة الطلاق؟ إن لديّ رأيين في هذه المسألة ذكرت أحدهما أمّا الثاني فما زلت أكتمه عنك. أمّا السؤال الثاني فهو: ما مصير الخطاب المفقود؟ ومَن الذي له مصلحة في أن يظلّ اللورد إدغوير وزوجته مرتبطَين بالزواج؟ أمّا السؤال الثالث فهو: ما السرّ فيما لاحظته أنت على وجه اللورد من الحقد والكراهية عندما هممنا بالانصراف من حضرته في قاعة المكتبة ظهر أمس؟ هل أنت موقن يا هيستنغز من أنك لم تكن واهماً؟

- نعم، أؤكّد لك أنني لم أكن مخدوعاً.

- حسناً، هذه إذن مسألة لا بدّ من جلائها. أمّا السؤال الرابع فخاص بالنظارة، فكارلوتا آدمز وجين ولكنسون لا تستعملان

النظارات، فما السبب إذن في وجود تلك النظارة في حقيبة كارلوتا؟ وأخيراً نصل إلى السؤال الخامس وهو: مَن الذي تحدّث هاتفيّاً مع السيدة إدغوير وهي في قصر مونتاغو؟ وما السرّ في رغبته في معرفة ما إذا كانت موجودة أو غير موجودة؟ تلك يا صديقي هي الأسئلة الخمسة التي تجول في خاطري.

- ولكن هناك أسئلة أخرى كثيرة.

- منها مثلاً.

- مَن الذي دفع كارلوتا إلى تمثيل هذا الدور؟ وأين كانت بعد الساعة العاشرة مساءً؟ ومَن الشخص المرموز له بالحرف «د» والذي أهداها العلبة الذهبية؟

- أسئلتك يا صديقي ذات أهمية ثانوية ولن تكشف إلاّ عن تفصيلات بسيطة إضافية، أمّا أسئلتي فتتناول مسائل ذات أهمية نفسية عميقة. والآن سأتصل هاتفيّاً بالسير مونتاغو لأطلب موعداً لمقابلته، فهيّا بنا فقد تسْفر هذه المقابلة عن جلاء سرّ المحادثة الهاتفية.

* * *

الفصل الخامس عشر
السير مونتاغو كورنر

وصل بوارو والكابتن هيستنغز إلى قصر السير مونتاغو في الساعة العاشرة مساء فاستقبلهما ربّ البيت بحفاوة كبيرة وقدّمهما إلى أصحابه قائلاً: اسمحا لي بأن أقدّمكما إلى أصدقائي، هذا هو السيد والسيدة ودبيرن.

فقالت السيدة ودبيرن: لقد التقينا من قبل.

- وهذا هو السيد روس.

وكان روس شابّاً أشقر الشعر في نحو العشرين من العمر وذا جاذبية واضحة.

وأخذ السير مونتاغو يحدّث ضيفَيه عن التحف والنفائس الفنية والسجاجيد الأثرية والصور الشهيرة والموسيقى الفرنسية، وعن قيمة الأواني الصينية الأثرية من الوجهة الفنية، إلى آخر ذلك.

وما انتهى من تلك المحاضرة الطويلة التي تدلّ على اطّلاع واسع حتى أسند رأسه إلى ظهر مقعده وقد نمّت سحنته عن أنه راضٍ عن نفسه، فقال له بوارو: يؤسفني أن أراني مضطرّاً إلى أن

أعكّر صفو هذا الجوّ الفنّي بالتحدّث عن الجرائم و...

فقال السير مونتاغو مقاطعاً: بل تكلّم كما شئت، فالجريمة في بعض الأحيان قد تكون عملاً فنيّاً، والشرطي السرّي قد يكون في مهنته فنّاناً إذا عرف كيف يمارسها. وبالمناسبة، لقد جاءني أحد مفتّشي الشرطة السرّية ويا له من أعجوبة؛ تصوّر أنه لم يسمع في حياته عن بتهوفن!

فقالت السيدة ودبيرن باهتمام: وهل جاءك ليستفسر عمّا إذا كانت جين ولكنسون قد حضرت مأدبتك أمس أم لا؟

فقال بوارو: من حسن حظّ تلك الممثّلة أنها حضرت المأدبة.

فقال السير مونتاغو: لقد دعوتها لجمالها ونبوغها راجياً أن أكون عوناً لها، فهي تريد أن تدير مسرحاً لحسابها الخاص، ولكن يظهر أنني أسديت إليها خدمة أخرى لم تكن في الحسبان.

فقالت السيدة ودبيرن: إن جين امرأة محظوظة، لقد تمنّت أن تتخلّص من زوجها فإذا به يموت فيوفّر عليها متاعب الطلاق، وفي وسعها الآن -على ما تردّده الألسن- أن تتزوّج الدوق مارتون.

فقال السير مونتاغو: لقد تركت في نفسي أثراً طيّباً إذ سمعتها تبدي ملاحظات قيّمة عن الفنّ الإغريقي.

فابتسم الكابتن هيستنغز وتصوّر جين تبدي تلك الملاحظات التي لا تزيد عن قولها: "نعم، تماماً، هذا صحيح، أصبت". ومن الطبيعي أن يعتبر السير مونتاغو أنها ملاحظات نفيسة ما دامت تقرّه على رأيه!

وقالت السيدة ودبيرن: أصحيح يا سيد بوارو أن اللورد إدغوير طُعن بمدية في أسفل الجمجمة؟

- تماماً يا سيدتي، وكانت الطعنة ذات دقة فنّية. والآن أرجو أن تسمح لي يا سير مونتاغو بأن أوجّه إلى خدمك بعض الأسئلة بشأن الحديث الهاتفي الذي دُعيت إليه السيدة إدغوير في أثناء المأدبة.

- بكل ارتياح، أرجوك يا روس أن تنادي رئيس خدمي.

ولما جاء رئيس الخدم أوضح له بوارو ما يريد فأجاب بأنه هو الذي لبّى نداء الهاتف الموضوع في مقصورة خاصّة في نهاية البهو.

- وهل طلب محدّثك أن يخاطب السيدة إدغوير أم أنه ذكر اسمها المسرحي جين ولكنسون؟

- بل طلب مخاطبة السيدة إدغوير.

- وماذا قال بالضبط؟

ففكّر الخادم هنيهة ثم قال: عندما وضعتُ السمّاعة على أذني قلت: "مَن؟"، فسمعت صوتاً يسألني عمّا إذا كان رقمي هو ٤٣٤٣٤ شيسويك، فلمّا أجبت بالإيجاب طلب منّي محدّثي أن أنتظر لحظة، ثم سمعت صوتاً آخر يكرّر نفس السؤال فردَدت ثانية بالإيجاب فقال الصوت: "هل السيدة إدغوير موجودة؟"، فأجبت بأنها جالسة على المائدة فقال الصوت: "أريد أن أتحدّث إليها من فضلك"، فذهبت لأخطر السيدة إدغوير فغادرت المائدة وحضرت في رفقتي إلى مقصورة الهاتف.

- وبعد ذلك؟

- تناولت السيدة السمّاعة وسمعتها تقول: "مَن؟... مَن؟... مَن هناك؟"، وبعد لحظة قالت: "نعم، أنا الليدي إدغوير"، وهممت بالابتعاد ولكن السيدة نادتني وأخبرتني أن المكالمة الهاتفية انقطعت فجأة وأن محدّثها ضحك عندما ذكرت له اسمها ثم قطع المكالمة، وسألتني عمّا إذا كان محدّثها قد ذكر اسمه فأجبتها بالنفي. وهذا هو كل شيء يا سيّدي.

فانبرت الآنسة ودبيرن تقول: أتعتقد يا سيد بوارو أن لذلك الحديث الهاتفي صلة بالجريمة؟

- لا أستطيع أن أجزم، ولكنها إذا كانت مصادفة فهي مصادفة عجيبة. من المحتمل أنها خدعة متعمَّدة لتضليل المحقّقين.

ثم التفت إلى رئيس الخدم وقال: أكان الصوت الذي سمعته صوت رجل أم امرأة؟

- صوت امرأة في الغالب يا سيّدي.

- ومن أيّ نوع كان ذلك الصوت؟ أكان حاداً أم هادئاً؟

- بل كان هادئاً يا سيدي، كان بطيئاً وواضحاً جداً، وأستطيع أن أؤكّد أن صاحبه أجنبيّ لأنه يدغم الراء.

فقالت السيدة ودبيرن مخاطبة الشابّ المسمّى روس وهي تضحك: يُحتمَل أنه اسكتلنديّ.

فضحك روس وقال: لست أنا على أيّ الأحوال لأنني كنت جالساً على المائدة.

فقال بوارو يسأل رئيس الخدم: أيمكنك أن تميّز ذلك الصوت إذا سمعته مرّة أخرى؟

- لا أدري يا سيدي، وإن كنت أعتقد أنني أستطيع.

واكتفى بوارو بتلك الأسئلة ولكنه لم ينصرف توّاً وإنما آثر أن يبقى إلى نهاية السهرة لمشاهدة السير مونتاغو وضيوفه وهم يلعبون البريدج. ولما همّ بالانصراف مع صاحبه الكابتن هيستنغز رافقهما روس فقال له بوارو: إن السير مونتاغو رجل ظريف.

فأجابه روس بقوله: إنه غنيّ جداً، ويظهر أنه معجب بي، وأنا أرجو أن يدوم هذا الإعجاب؛ ففي رعاية شخص واسع النفوذ مثل هذا يمكن أن أضمن لنفسي مستقبلاً بديعاً.

- أنت ممثل يا سيد روس، أليس كذلك؟

فلما أحنى رأسه إيجاباً قال له بوارو: أتعرف كارلوتا آدمز؟

- لا، ولكنني قرأت خبر موتها في صحف هذا المساء. تناولت جرعة قوية من منوّم، ومما يؤسَف له أن تناول المنوّمات أصبح عادة شائعة بين الممثلات الشابّات!

- هل رأيتها تمثّل؟

- لا؛ فأنا لا أحبّ التمثيل الفردي.

واستوقف بوارو إحدى السيارات المأجورة فقال روس: أمّا أنا فأؤثر أن أتابع طريقي سيراً على الأقدام. ثم ضحك فجأة ضحكة عصبية وقال: أنا أفكّر في مأدبة أمس.

- وما الذي أضحكك؟

– كنا على المائدة ثلاثة عشر، فقد تخلّف أحد المدعوّين في اللحظة الأخيرة ولم نلاحظ عددنا المشؤوم هذا إلاّ قُبيل الفراغ من الطعام!

فقال الكابتن هيستنغز يسأله: ومن كان أوّل من غادر المائدة؟

وللمرة الثانية ضحك روس ضحكة غريبة وقال: أنا يا سيّدي!

* * *

الفصل السادس عشر
مناقشات

عندما رجع بوارو إلى مسكنه وجد المفتش غوبي في انتظاره، وبعد التحية المألوفة قال المفتش: لقد جئت يا سيد بوارو أسألك الرأي والمشورة، فأنا أريد أن أعرف بشكل خاصّ رأيك في وجود نفس المرأة في مكانين مختلفين.

فسأله بوارو عمّا إذا كان يعرف ممثلة تُدْعى كارلوتا آدمز، فلمّا أجاب بالنفي أخذ بوارو يشرح له نظريته في تنكّر كارلوتا في زيّ السيدة إدغوير وذهابها إلى القصر ثم ما كان من قتلها، فقال المفتش جوبي: معقول، معقول جداً. الملابس والقبعة والقفّاز والشعر المستعار... أنت مدهش يا سيد بوارو! ولكن لا أخفيك سرّاً أنا أعتقد أنك تغالي قليلاً؛ فليس لدينا أيّ دليل على أن كارلوتا آدمز قُتلت، وأنا لي في ذلك نظرية تختلف عن نظريّتك، إذ ليس هناك شكّ في أن كارلوتا هي القاتلة، ولكنني أعتقد أنها ذهبت لمقابلة اللورد إدغوير من تلقاء نفسها وليس بإيحاء من شخص مجهول كما تقول أنت. ربما ذهبت إليه بصفتها زوجته، فإذا تسنّى لها أن تخدعه استدرجته إلى الحديث حتى إذا وقفت على بعض أسراره استغلّت تلك الأسرار في ابتزاز المال منه فيما

بعد، ولا شكّ أنه كشف خديعتها وهدّدها بإبلاغ الشرطة فاستلّت مُديتها وقتلته، ولما رجعت إلى بيتها أدركها الندم على ما فعلت فتناولت جرعة كبيرة من الفيرونال بقصد الانتحار.

- وهل يقنعك هذا التفسير؟

- طبعاً، وإن كانت هناك بعض التفصيلات التي لا زلنا نجهلها ولكنه تفسير معقول فيما أرى، ويمكن أن يقال من الناحية الأخرى إن الجريمة والتنكّر عملان منفصلان، ولكنني في هذه الحالة أرى أن وقوعهما في وقت واحد مصادفة عجيبة.

ولم يكن بوارو يشاطره ذلك الرأي ولكنه أجاب باقتضاب قائلاً: ربما!

- وما رأيك في هذا التفسير الثالث وهو أن مهزلة التنكّر بريئة في ذاتها وأن شخصاً مجهولاً عَلِم بها فاستغلّها لمصلحته وارتكب الجريمة؟ هذا فرض لا بأس به ولكنني أؤثر الفرض الأوّل، وسنكشف سرّ العلاقة التي بين اللورد وكارلوتا آدمز.

وحدّثه بوارو عن الخطاب الذي كتبته كارلوتا إلى أختها في أمريكا وطلب منه أن يهتمّ بتلك المسألة فوعده غوبي بذلك ثم قال: أنا أعتقد أن كارلوتا هي القاتلة، أمّا الكابتن مارشي، أي اللورد إدغوير الحالي، فلديه دليل نفي قويّ، فقد تحرّيت وعرفت أنه أمضى السهرة في مقصورة آل دورتيمر في مسرح كوفنت غاردن كما أنه تناول الطعام معهم قبل التمثيل.

- وماذا عن الآنسة غيرلدين؟

- لقد تناولت هي أيضاً العشاء في الخارج عند آل كارتوي

وست ثم ذهبت معهم إلى نفس المسرح وكانوا في رفقتها حال عودتها إلى قصرها قُبيل منتصف الليل. أمّا سكرتيرة اللورد إدغوير فتبدو في نظري امرأة أمينة شريفة على عكس رئيس الخدم الذي تدعو هيئته إلى الريبة، ولقد حاولت أن أهتدي إلى دافع قد يحمله على قتل سيّده فلم أوفَّق إلى شيء، ولكنني أمرت بعض رجالي بمراقبته.

- أليس لديك أيّ خبر جديد؟

- لقد ضاع مفتاح اللورد إدغوير، مفتاح الباب العمومي.

- هذا شيء جميل.

- أجل، إن له أهمية. وهناك مسألة أخرى هي أن اللورد إدغوير سحب من المصرف أمس مئة جنيه وحوّلها إلى نقود فرنسية؛ فقد كان في نيّته أن يسافر إلى باريس، وقد اختفى ذلك المبلغ.

- ومن أين علمت بهذا؟

- الآنسة كارول هي التي أخبرتني، فهي التي صرفت الشيك بنفسها، ولكنني أنا الذي تحقّقت من اختفاء الأوراق المالية.

- وأين كانت تلك الأوراق المالية مساء أمس؟

- الآنسة كارول لا تدري، فقد أعطت المبلغ إلى اللورد بعد الظهر وهو جالس على مكتبه فتناول منها المظروف ووضعه على المكتب.

فقال بوارو: هذا يعقّد المسألة.

- أو على العكس يبسّطها. وبالمناسبة، لقد نسيت أن أخبرك بأن الطبيب يعتقد أن الجرح ليس ناشئاً عن طعنة مدية بل عن سلاح دقيق جداً وذي شكل خاص.

وساد الصمت برهة ثم قال المفتش غوبي: وما رأيك في سلوك اللورد إدغوير الشابّ؟ إنه لا يفتأ يثير الشبهات حول نفسه متّخذاً من ذلك مادّة للمزاح، ألست ترى الأمر مريباً؟

- بلى.

- وهو يعتبر أن موت عمّه نعمة إلهية؛ فقد انتقل إلى ذلك القصر الرائع بعد أن كان يقيم في مسكن حقير.

- وأين كان يقطن من قبل؟

فالتفت بوارو إلى الكابتن هيستنغز وقال: اكتب يا هيستنغز عنوان الكابتن مارشي القديم.

فنهض المفتش غوبي قائلاً: أنا أعتقد يا عزيزي -بما لا يدَع مجالاً للشكّ- أن الآنسة آدمز هي القاتلة، ولكن للأسف لم أوفَّق بعد إلى اكتشاف الدافع إلى الجريمة.

فقال بوارو: أنا أعرف شخصاً آخر لديه دافع قويّ إلى القتل ولكنك لم تهتمّ به.

- ومن يكون؟

- الشابّ الذي تقول الإشاعات إنه سيتزوّج أرملة اللورد إدغوير، وأعني به الدوق مارتون.

فضحك المفتش غوبي وقال: إن الدافع موجود طبعاً ولكن

ليس معقولاً أن ينحدر رجل في مثل مكانته إلى ارتكاب جريمة قتل! ومهما يكن من أمر فهو موجود في باريس.

- إذن فأنت لا تعتبره مشبوهاً؟

- وهل أنت تعتبره كذلك يا سيد بوارو؟

ولم ينتظر جواباً على سؤاله استنكاراً منه لأنْ يجول مثل هذا الخاطر الجريء في ذهن السيد بوارو.

* * *

الفصل السابع عشر

رئيس الخدم

في صباح اليوم التالي ذهب المفتش غوبي إلى زيارة بوارو وهو متجهّم الوجه عابس السحنة ليخبره بأن رئيس الخدم في قصر اللورد إدغوير قد هرب.

- لقد كلّفت بعض رجالي لمراقبته فضلّلهم وفرّ هارباً، وقد يكون فراره مدعاة إلى دعم الشبهة ضدّه. ولكن يمكن أن نجد للمسألة وجهاً آخر وهو أنه معتاد على التردّد على بُؤَر مشبوهة ومن المحتمل أنه خشي أن تسفر هذه المراقبة عن اتهامه في مغامرات أخرى لا شأن لها بالجريمة فآثر الاختفاء.

ثم أخبره بأنه بحث في مسكن الآنسة آدمز فلم يهتدِ إلى شيء جديد وأنه استجوب الآنسة جيني درايفر صاحبة محلّ الأزياء، فقال له بوارو: وما رأيك في الآنسة درايفر؟

- إنها امرأة موفورة الذكاء ولكن للأسف لم تستطع أن تسدي إليّ أية مساعدة، وأهمّ ما عرفت منها أن بين أصدقاء الآنسة آدمز اللورد إدغوير الشابّ والسيد بريان مارتان الممثّل السينمائي المعروف. وأنا لا أزال على اعتقادي بأن الآنسة آدمز هي

القاتلة وأنها ارتكبت الجريمة من تلقاء نفسها وليس هناك شخص مجهول وراء الستار كما تعتقد أنت، وسأوجّه جهودي إلى اكتشاف العلاقة التي بينها وبين القتيل، وسأذهب إلى باريس حتماً لأن كلمة «باريس» منقوشة على غطاء العلبة الذهبية، كما أن القتيل كان معتاداً على التردّد على العاصمة الفرنسية كثيراً. نعم، سأسافر إلى باريس وسأستقلّ الباخرة التي تقلع بعد ظُهر الغد.

- أنا معجب بنشاطك يا عزيزي غوبي.

- إن النشاط هو رأسمال الشرطي النابه، أمّا أنت فماذا تفعل؟ لا شيء غير أن ترتمي على مقعدك لتفكّر! وأيّ جدوى من التفكير؟ يجب أن تسعى يا عزيزي بوارو إلى جمع الحقائق لا أن تقعد مكتوف اليدين حتى تأتي إليك من تلقاء نفسها.

- إذن دعني أسألك سؤالاً: ما فحوى وصية اللورد إدغوير؟

- لقد أوصى بأملاكه لابنته، وبخمسمئة جنيه للآنسة كارول، وهذا كل شيء.

- ومتى حُرّرت تلك الوصية؟

- عقب هجر زوجته له، أي منذ أكثر من عامين، وقد حرَمها من الميراث.

وفُتح الباب ودخلت الخادمة تخبر السيد بوارو بأن السيد بريان مارتان يطلب مقابلته فنهض المفتش غوبي واقفاً واستأذن في الانصراف.

وقال بريان مارتان عند دخوله: معذرة يا سيد بوارو، أخشى

أن أكون قد أضعت عليك وقتك الثمين في المقابلة الأولى.

- أحقاً؟

- نعم، فقد قابلت السيدة التي حدّثتك عنها فأبت بإصرار أن أطلعك على سرّنا، فيؤسفني أشدّ الأسف أنني أزعجتك بلا داع.

- لا ضير عليك، لقد كنت أتوقّع ذلك.

فدهش الممثل وقال: ماذا تقول؟! أتعني أن لديك فكرة عن هذا السرّ؟

- ليس تماماً يا سيد مارتان، ولكن الشرطي عادة يفترض بعض الفروض، فإذا أصاب أمكنه أن يصل إلى نتائج معيّنة.

- وهل لي أن أعرف تلك النتائج التي وصلت إليها؟

- معذرة يا سيدي؛ فالكتمان مبدأ مقدَّس في نظر الشرطي، ولكن حسبي أن أقول لك إنني كوّنت لنفسي فكرة معيّنة بمجرّد أن حدّثتني عن الرجل ذي السنّ الذهبية.

- أنت تدهشني يا سيد بوارو! ألا يمكنك أن تزيدني إيضاحاً؟

- آسف جداً. فلنغيّر مجرى الحديث.

وساد الصمت برهة ثم قال الممثل السينمائي: لقد لمحت الزائر الذي خرج من عندك الآن، أليس هو المفتش غوبي؟

- هو بعينه.

- لقد زارني صباح اليوم ليسألني عن كارلوتا آدمز.

- أتعرفها جيّداً؟

- نحن رفيقان منذ عهد الطفولة، ولكن مضى زمن طويل لم أكن أراها خلاله إلاّ نادراً. وقد أحزنني موتها حقاً، ولست أعرف سبب انتحارها؛ فالواقع أنني أجهل شؤونها الخاصّة.

فقال بوارو: أمّا أنا فأستبعد أنها انتحرت. ثم أردف قائلاً: ألا ترى أن اللغز المحيط بمصرع اللورد إدغوير قد بدأ يتعقّد؟

- هذا صحيح، ولكن هل ترتاب في شخص آخر يا سيد بوارو بعد ما سقطت الشبهة عن جين ولكنسون؟

- طبعاً، فهناك شبهات قوية.

فبدا على مارتان أنه اضطرب قليلاً وقال: ضدّ مَن؟

- لقد اختفى رئيس الخدم من قصر اللورد إدغوير، والفرار في مثل هذه الظروف يمكن أن يعدّ اعترافاً صريحاً.

- هذا عجيب!

ثم نهض واقفاً واستأذن في الانصراف، وما كاد يخرج حتى التفت الكابتن هيستنغز إلى بوارو قائلاً: أكنت تعتقد حقاً أن الفتاة لن تسمح لبريان مارتان بأن يطلعك على سرّهما؟

- طبعاً.

- ولكن كيف عرفت ذلك؟!

- عرفته لأنني أفكّر، فبمجرّد أن حدّثني عن الرجل ذي السنّ الذهبية افترضت فرضاً معيّناً، والآن أستطيع أن أقول إنني أعرف مَن تلك الفتاة كما أعرف السبب الذي جعلها تأبى على بريان مارتان

أن يفضي إليّ بالسرّ. وكان في وسعك أن تصل أنت أيضاً إلى نفس هذه النتيجة لو أنك استعملت عقلك، ولكن يُخيّل إليّ في بعض الأحيان أن الله خلقك بغير عقل!

* * *

الفصل الثامن عشر
الدوق مارتون

بعد يومين من هذا الحديث رجع المفتش غوبي من باريس فأقبل يزور صديقه بوارو ليخبره بنتيجة تحرّياته قائلاً: لقد عرفت أنه في الساعة التاسعة من مساء الليلة التي ارتُكبت فيها الجريمة أودعت سيدة شقراء حقيبة في مخزن الأمانات بمحطة أيستون، ولما عُرضت حقيبة الآنسة آدمز على أمين المخزن تعرّف عليها على الفور.

فقال بوارو: إن محطة أيستون هي أقرب محطة إلى قصر اللورد إدغوير، ولا شكّ أن الآنسة آدمز دخلتها لتتنكّر في غرفة الزينة ثم أودعت حقيبتها لدى الأمين وذهبت إلى القصر. ولكن متى استرجعت الحقيبة؟

- في الساعة العاشرة والنصف، ونفس السيدة هي التي استرجعتها، كما أنني عرفت أن كارلوتا آدمز كانت في مشرب ليونز في الساعة الحادية عشرة.

- هذا اكتشاف مهمّ، كيف توصّلت إليه؟

- قدَراً، فقد نشرت الصحف أنباء الحادث وتساءل أحد

المحرّرين في مقال له عن الكيفية التي قضت بها كارلوتا سهرتها، كما وصف العلبة الذهبية التي تحمل الحرفين الأوّلين من اسمها، فقرأت إحدى نادلات مشرب ليونز ذلك المقال فذكرت أنها رأت علبة بهذه الأوصاف ومنقوش عليها نفس الحرفين في يد سيّدة جاءت إلى المشرب في الساعة الحادية عشرة من مساء ليلة الحادث فأسرعت إليّ بالخبر، وقد عرضتُ عليها عدّة صور لكارلوتا فلم تتعرّف عليها ولكنها وصفت وصفاً دقيقاً الثياب التي كانت ترتديها، وهذا بديهيّ لأن المرأة عادةً تهتمّ بأن تتأمّل ثياب سواها على حين لا يهتمّ الرجل إلاّ بالوجه.

- وماذا قالت النادلة أيضاً؟

- لقد ذكرت لي أن السيدة كانت تحمل حقيبة صغيرة وأنها طلبت عشاءً خفيفاً، وكانت لا تفتأ تنظر في ساعة يدها كأنما تنتظر زائراً وأنها وضعت العلبة الذهبية على المنضدة وفتحتها ثم أغلقتها، وعند انصرافها نظرت في ساعتها للمرّة الأخيرة.

فقال بوارو: هذا معناه أنها كانت على موعد مع شخص تخلّف عن الحضور، تُرى هل قابلت كارلوتا ذلك الشخص فيما بعد أم هو ذلك الذي حاولت أن تتّصل به هاتفيّاً؟

فقال المفتش غوبي بشيء من التهكّم: ألا زلت مُصرّاً على الاعتقاد أن هناك رجلاً وراء الستار يدفع كارلوتا آدمز ويحرّكها؟ إنها نظرية واهية لا تستند إلى أساس، وأنا أعلم علم اليقين أن كارلوتا قتلت اللورد إدغوير وهي في ثورة غضبها، فلمّا استعادت رباطة جأشها رجعت إلى محطة أيستون واستردّت الحقيبة وذهبت إلى مشرب ليونز ثم انتابتها المخاوف والهواجس فتناولت من علبتها الذهبية جرعة كبيرة من الفيرونال. الأمر واضح كالشمس يا عزيزي

بوارو، والرجل الذي وراء الستار خرافة يجب أن تقلع عنها.

وسكت برهة ثم أردف قائلاً: هذه هي نتيجة تحرّياتي في لندن قبل سفري إلى باريس، أمّا رحلتي إلى باريس فقد كانت مخيّبة للآمال بكل أسف؛ فلم أكتشف فيها شيئاً، ولكنني تركت هناك رجلين من أعواني يواصلان البحث عسى أن يهتديا إلى شيء ذي أهمية. والآن بِمَ تشير عليّ؟

- أشير عليك بأن تبحث عن سيارة مأجورة حملت في ليلة الحادث شخصاً أو شخصَين من جوار مسرح كوفنت غاردن فذهبت به أو بهما إلى قصر اللورد إدغوير في ريغنت جيت، وكان ذلك في نحو الساعة الحادية عشرة إلاّ الثلث.

فلمعت عينا المفتش غوبي فجأةً وقال: حسناً، إن لك في بعض الأحيان أفكاراً عجيبة يا عزيزي بوارو!

ولم يكَد المفتش غوبي ينصرف حتى هبّ بوارو واقفاً وهو يقول: والآن هيا بنا يا عزيزي هيستنغز لنقابل الدوق مارتون، فقد قرأت في الصحف أنه رجع إلى لندن.

- ولكن ما غايتك من مقابلته؟

- لا غاية لي، كل ما في الأمر أنني أحب أن أتعرّف عليه.

واستقبلهما الدوق بعد إلحاح شديد، وكان جالساً على مكتبه وأمامه خطاب منشور لم يفرغ من كتابته بعد. واستهلّ بوارو حديثه معه بقوله: ربما كنتَ قد سمعت عني من قبل يا سيدي الدوق.

- لا، فلست أذكر أنني سمعت عنك.

- أنا أهتمّ بدراسة الإجرام من الوجهة النفسية.

- وما غرضك من زيارتي؟

- أنا أدرس جميع الظروف التي تتّصل عن قرب أو بُعد بمصرع اللورد إدغوير.

- أحقاً؟ ولكنني لا أعرف اللورد إدغوير.

- ولكنك تعرف زوجته، أعني السيدة جين ولكنسون.

- هذا صحيح.

- ولا بدّ أنك تعرف أن لديها أسباباً قوية تجعلها تتمنّى موت زوجها؟

- لا علم لي بشيء من ذلك.

- أتسمح لي بأن أوجّه إليك سؤالاً؟ هل في نيّتك أن تتزوّج السيدة جين ولكنسون؟

فقطب الدوق جبينه وقال: عندما أنوي الزواج ستكون الصحف هي التي تتولى إعلان نواياي، أنا أعتبر سؤالك يا سيدي فضولاً وتطفّلاً، إلى اللقاء.

ونهض واقفاً فقال بوارو: لم أظنّ أنني... أنا أعتذر إليك.

فقال الدوق بخشونة: إلى اللقاء.

فانصرف الشرطي السرّي البلجيكي وصاحبه غارقَين في الخجل، وقال الكابتن هيستنغز يخاطب بوارو: يا له من رجل مغرور متعجرف! ولكن لا عجب فهو لم يبلغ الثلاثين بعد. ولكن ما الذي دعاك إلى أن توجّه إليه ذلك السؤال وأنت تعلم أنه سيتزوّج جين ولكنسون؟ ألم تخبرك هي بنفسها؟

- ومن أجل ذلك أردت أن أسمع منه شخصيّاً تأكيداً لروايتها؛ فمن المحتمل جداً أنها تفكّر في الاقتران به على حين أنه هو نفسه لا يدري من الأمر شيئاً ولم يخطر له ببال.

- ولكن للأسف كانت نتيجة المقابلة مخيّبة للآمال.

- بالعكس يا صديقي، فقد عرفت الجواب الذي أنشده.

- أحقاً؟! وكيف عرفت ذلك؟

فابتسم بوارو وقال: عند دخولنا كان الدوق منهمكاً في كتابة خطاب، وفي أثناء الحديث اختلست النظر إلى الخطاب واستطعت أن أقرأ فكان خطاباً بديعاً يوجّهه الدوق إلى جين ولكنسون ويفضي إليها فيه بمشاعره.

فقال الكابتن هيستنغز يلومه: ولكن بدلاً من أن تلجأ إلى تلك الطريقة الملتوية كان في وسعك أن تصارح الدوق بأن السيدة إدغوير هي التي أوفدتك إلى زوجها لتباحثه في مسألة الطلاق، ولو أنك أخبرته بذلك لما كتم عنك سرّاً.

فقال بوارو: أتظنني يا صديقي أرضى بأن أفضي إلى الدوق بسرّ مهمّة ائتمنتني عليها السيدة إدغوير؟ تلك المهمّة هي سرّها الخاصّ وليس من شأني أن أفشيه.

- ولكن أيّ ضير في هذا ما داما سيتزوّجان؟

- ولو!

وارتسمت على شفتَي بوارو ابتسامة غامضة.

* * *

الفصل التاسع عشر
زيارة غير منتظَرة

في صباح اليوم التالي جاءت الدوقة مارتون والدة الدوق الشابّ تطلب مقابلة بوارو، وكانت في حديثها صريحة تؤْثر الإيجاز، وقد أخبرته أنها تعرف أن ابنها ينوي الاقتران بجين ولكنسون ولكنها تريد أن تحول دون إتمام هذا الزواج بأية طريقة وبأيّ ثمن.

قالت: لو أن ابني تزوّج تلك المرأة لقضى على نفسه بالدمار.

فقال بوارو: أتظنين ذلك يا سيدتي؟

- إنه ليس مجرّد ظنّ، بل هو يقين لا شكّ فيه. إن ابني شابّ غرير ساذج يتعلّق بالمثل العليا ولم يختبر الدنيا بعد، فلمّا لقي تلك المرأة -وهي ممثلة بطبعها- عرفت كيف تخلب لُبّه وتدير رأسه. ابني أنا الدوق مارتون يتزوّج ممثلة!

- ولكن جين ولكنسون يا سيدتي امرأة موفورة الذكاء وأظنّ أن في وسعها أن تملأ مركزها الاجتماعي كزوجة للدوق مارتون وليس في ماضيها ما يشين.

- أنا أعرف ذلك، فقد تحرّيت عنها وعن ماضيها، ولكنني لا أحجم عن شيء في سبيل عرقلة هذا الزواج. لك أن تطلب مني ما تشاء يا سيد بوارو، فأنا أعرف أنك الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يحول دون وقوع هذه النكبة.

- الأمر يا سيدتي لا شأن له بالمال في نظري، وللأسف لن أستطيع أن أتولّى هذه المهمّة لسبب سأكاشفك به الآن، ولكنني أرجو أن تسمحي لي بأن أسدي إليك نصيحة مخلصة.

- تكلّم يا سيدي.

- إن ابنك يا سيدتي رشيد عاقل وفي وسعه أن يختار الزوجة التي يشاء، فلا أرى من الحكمة أن تعترضي طريقه وإلاّ ساءت العلاقات بينك وبينه. أنت تعرفين أن الشابّ في شؤون الحبّ يأبى أن يتلقّى نصيحة من سواه، فإذا حاولتِ أنت أن تعرقلي هذا الزواج فالنتيجة الوحيدة هي أن ينشب الخلاف بينك وبين ابنك دون أن يحفل بالاستماع إلى نصيحتك. فالرأي عندي أن تدَعيه وشأنه، فمن المحتمل أن يجد سبباً يحمله على أن يعدل عن هذا الزواج من تلقاء نفسه. فإذا حلّت تلك اللحظة وكانت العلاقات بينكما ودّية أمكنه أن يتّخذك موضعاً لثقته.

فقطبت الدوقة العظيمة جبينها وقالت: يبدو لي يا سيّد أنك لا تفهمني.

- بل أفهمك حقّ الفهم يا سيدتي، فقلْب الأمّ ليس باللغز المبهم، ولكنني لا أستطيع أن أقبل المهمّة التي تريدين أن تعهدي بها إليّ؛ فالسيدة إدغوير، أعني جين ولكنسون، سبق أن استعانت بي وبمشورتي وليس في وسعي أن أحارب في ميدانَين.

فقالت الدوقة ببرود: إذن فالأمر كذلك، الآن فهمت لماذا لم تقبض عليها الشرطة حتى الآن.

- ماذا تعنين يا سيدتي الدوقة؟

- لقد سمعت كلامي جيّداً يا سيدي فلا داعي للتكرار. لقد شوهدت جين ولكنسون في البيت قبل الجريمة وثبت أنها الشخص الوحيد الذي قابل اللورد إدغوير في تلك الليلة، وكان متوقَّعاً أن تقبض عليها الشرطة لولا تدخّلك بطبيعة الحال. الحق أنني ما كنت أعتقد أن الشرطة غارقة في الرشوة إلى هذا الحدّ.

ثم أوْلته ظَهرها وانصرفت رافعة الرأس بكبرياء وعجرفة، فالتفت الكابتن هيستنغز إلى صاحبه وقال: لقد أغضبت الدوقة يا عزيزي بوارو وقد كان في وسعك أن تعتذر عن قبول المهمّة دون أن تكاشفها بالسبب.

- فليكن، فلست أبالي بغضبها. لكن الشيء الذي أدهشني أنها تعرف الشيء الكثير عن التحقيق، فهي تعرف مثلاً أن السيدة إدغوير زارت زوجها ليلة الجريمة!

- يحتمل أن تكون جين هي التي أفضت إلى الدوق بذلك فأفضى به إلى أمّه.

- ربما.

ودقّ جرس الهاتف في تلك اللحظة فطلب بوارو من صديقه هيستنغز أن يلبّي النداء، فلمّا انتهى الحديث قال هيستنغز: إنه المفتش غوبي، وهو يقول أولاً إنك رجل مدهش، وثانياً إنه تلقّى برقية من أمريكا، وثالثاً إنه اهتدى إلى سيارة الأجرة، ورابعاً إنه

يرجوك أن تتولّى بنفسك استجواب السائق، وخامساً يكرّر قوله إنك رجل مدهش وإنه الآن قد آمن بنظريّتك عن الرجل الذي وراء الستار، واختتم حديثه بأن قال للمرة الثالثة إنك رجل مدهش.

فضحك بوارو وقال: إذن فقد آمن غوبي الآن بأنه لا بدّ أن يكون هناك رجل وراء الستار؟ من الغريب أن يؤمن بنظريّتي هذه في اللحظة التي نبذتُها أنا فيها!

- ماذا تقول؟!

- أقول إننا في تحقيقنا كلّه كنا نبحث عن الدافع إلى قتل اللورد إدغوير، فلندَع ذلك الدافع الآن ولنأخذ بغرض آخر. من المحتمل أن هناك شخصاً معيّناً يحقد على جين ولكنسون إلى درجة يتمنّى معها أن يراها تُشنَق، فهل تستبعد أن يُقدِم ذلك الشخص على تلك الجريمة كي يُلقي الشبهة على جين؟

* * *

الفصل العشرون
شهادة سائق السيارة

عندما وصل بوارو والكابتن هيستنغز إلى قسم الشرطة وجد المفتش غوبي ماضياً في استجواب سائق السيارة العجوز.

قال السائق: نعم، في ليلة التاسع والعشرين من حزيران (يونيو) نقلتُ شخصَين بسيارتي، امرأة ورجلاً، وكانا يرتديان ثياب السهرة فطلبا منّي أن أذهب بهما إلى شارع ريغنت جيت.

- ومتى كان ذلك؟

- في نحو الساعة الحادية عشرة، ولما وصلنا إلى هناك أرشداني إلى رقم المنزل، وكانا طوال الطريق يحثّانني على الإسراع فبلغت المكان المنشود في دقائق معدودة. وهناك طلب منّي الشابّ الوقوف أمام المنزل رقم ٨ ونزلت السيدة من السيارة وعبرت الطريق وسارت في محاذاة البيوت، أمّا الرجل فوقف على مقربة من السيارة وطلب منّي أن أظلّ منتظراً، وكان مولياً ظَهره ناحيتي متابعاً السيدة ببصره. وبعد نحو خمس دقائق سمعته يتمتم بعض الكلمات ثم ابتعد عن السيارة متّخذاً نفس الاتجاه الذي سارت فيه السيدة، فتبعتُه ببصري خشية فراره من غير أن يدفع الأجرة. ورأيته يرتقي درَج أحد البيوت ويدخل.

- أكان باب البيت مفتوحاً؟

- لا، بل فتحه بمفتاح معه.

- أتعرف رقم المنزل؟

- لا بدّ أن يكون ١٧ أو ١٩، وقد استغربت أن يطلب منّي الوقوف بعيداً عن المنزل. وبعد خمس دقائق خرج مع السيدة من المنزل ورجعا إلى السيارة وطلبا منّي أن أعود بهما إلى مسرح كوفنت غاردن الذي أتيت بهما من عنده، وقد أعطياني أجراً كبيراً مما أثار رِيبتي.

فعرض عليه المفتش غوبي طائفة من الصور بينها صورة غيرلدين والكابتن مارشي فتعرّف على صورة الفتاة على الفور ورجّح أن يكون الكابتن مارشي هو الرجل الذي كان في رفقتها، ولكنه لم يكن متأكّداً.

ولما انصرف السائق قال المفتش غوبي: وهكذا انهار دليل النفي، أنا أهنّئك يا عزيزي بوارو لأنك فكّرت في هذا.

فابتسم بوارو قائلاً: عندما علمت أنهما أمضيا السهرة في المسرح لم أستبعد أن يكونا قد التقيا في فترة الاستراحة فذهبا إلى القصر مسرعَين ورجعا دون أن يشعر بهما أحد، والذي أثار شكّي أنني رأيت اللورد إدغوير الشابّ يفخر بحماسة بما لديه من دليل يثبت به وجوده في مكان آخر.

- أنا أهنّئك على شكوكك يا عزيزي بوارو. نعم، لا بدّ أن يكون أن اللورد إدغوير الشابّ هو القاتل. ها هي البرقية من أمريكا فاقرأها، لقد اتصلت الشرطة الأمريكية بأخت كارلوتا آدمز فأطلعتها على الخطاب الذي جاءها من أختها ولكنها أبت أن تعطيه

للشرطة، وها هو نصّ الخطاب كما جاء في البرقية:

عزيزتي الأخت الصغيرة،

لقد بدأت الصحف تتحدّث عنّي والجمهور يَحْبوني بعطفه وإعجابه، ولي هنا أصدقاء من ذوي النفوذ ينوون أن يستأجروا مسرحاً باسمي في العام القادم لمدّة شهرين. لقد نجحت أعظم النجاح في مشهد عنوانه «الأمريكية في باريس»، وكذلك مشهد «المدرّسة الغاضبة». ويمكنك أن تدركي مبلغ نجاحي إذا عرفتِ أن السيد هيرك سيقدّمني إلى السير مونتاغو كورنر الذي يبسط رعايته إلى كثير من رجال الفنون.

ومنذ يوم أو يومين دعتني الممثّلة الشهيرة جين ولكنسون إلى مائدتها وأثنت على إتقاني في تقليد شخصيّتها بإعجاب شديد. ودعيني الآن أقصّ عليك أمراً عظيماً، أنا لا أحبّ تلك المرأة؛ فقد حدّثني عنها شخص يعرفها حقّ المعرفة وأطلعني على عيوبها ومساوئها، فهي شرّيرة خبيثة. وأنت تعلمين طبعاً أنها زوجة اللورد إدغوير، وهو نفسه رجل جبّار قاس ويعامل ابن أخيه الكابتن مارشي معاملة قاسية، والكابتن مارشي نفسه هو الذي قصّ عليّ ذلك فآلمني ما سمعت. ولقد أُعجب بتقليدي لشخصية جين ولكنسون فقال لي: "أنا أعتقد أن اللورد إدغوير نفسه يمكن أن ينخدع بهذا التقليد، أتحبّين أن تراهني على ذلك؟"، فقلت ضاحكة: "وكم قيمة الرهان؟".

ويمكنك أن تتصوّري يا لوسي مبلغ دهشتي عندما

سمعت الجواب، عشرة آلاف دولار! تصوّري يا عزيزتي، عشرة آلاف دولار! كل هذا كي أقوم بهذا الدور الهزليّ. فقلت له ضاحكة: "ما دمت سآخذ هذا المبلغ فأنا على استعداد لأن أقلّد الملك نفسه!". بعد ذلك أخذنا في دراسة التفصيلات معاً.

وفي الأسبوع القادم سأقصّ عليك بقية هذه الحكاية. والشيء المهمّ في نظري أنني سأتقاضى المبلغ سواء نجحت في خداع اللورد إدغوير أو أخفقت، وبهذا القدر الجسيم من المال سنكون سعيدتين يا عزيزتي وسأدعوك على الفور لنقيم في أوروبا. والآن وداعاً ولك قبلاتي.

كارلوتا.

ولما فرغ من قراءة البرقية قال له المفتش غوبي: لقد وقع الماكر في أيدينا، إنه هو الرجل الذي وراء الستار. دفع كارلوتا آدمز إلى تقليد شخصية جين ولكنسون وارتكب جريمته ملقياً الشبهة على الزوجة المسكينة.

ولكن السيد بوارو لبث صامتاً لا يتكلّم فتفرّس فيه غوبي قائلاً: ما بك يا بوارو؟ ألا تشاطرني هذا الرأي وهو من البديهيات؟

- الواقع أنني كنت أتوقّع شيئاً غير هذا.

- ماذا تقول؟ ألست أنت الذي كنت تحاول أن تقنعني بأن هناك رجلاً وراء الستار حرّك الفتاة ودبّر تلك المسرحية؟

- بلى، بلى.

- إذن فماذا تريد أكثر من هذا؟ من حسن حظّنا أن كارلوتا

كتبت هذا الخطاب.

- وماذا تنوي الآن؟

- سأقبض فوراً على الكابتن مارشي، أعني اللورد إدغوير؛ فالأدلّة ضدّه كافية.

- ربما.

فصاح المفتش غوبي قائلاً: ربما؟! الحقّ يا عزيزي بوارو أنك تحبّ التعقيد. لقد قلت إن هناك شخصاً وراء الستار، فلمّا اهتدينا إليه أصبحت غير راضٍ عن هذا الاكتشاف! أهناك ثغرة في تسلسل الأحداث؟

- أنا أسائل نفسي عن الدور الذي لعبته الآنسة غيرلدين في هذا الحادث، إنها شريكة القاتل بلا شكّ ما دامت قد غادرت المسرح في رفقته وذهبا معاً إلى القصر، ولا بدّ لي من استجوابها على الفور.

- أتسمح لي بمرافقتك؟

- بالتأكيد، فالفضل في الاهتداء إلى القاتل يرجع إليك.

- إذن فأنت تعتقد أن اللورد إدغوير الشابّ هو القاتل، أليس كذلك؟

فكان جواب بوارو أن تفرّس في المفتش غوبي متعجّباً وهزّ رأسه بدهشة.

* * *

الفصل الحادي والعشرون
شهادة دونالد

حين ذكر المفتش غوبي للورد إدغوير الشابّ الغرض من زيارته ابتسم اللورد قائلاً: إذن فهذه هي الحكاية الجديدة! أنا أريد يا سيدي المفتش أن أفضي إليك باعتراف.

فأشرق وجه المفتش غوبي وقال: تكلّم فأنا مصغٍ إليك.

- أريد أولاً أن أبدي إعجابي التام برجال اسكتلنديارد، فقد كنت على يقين من أنكم لن تجدوا ثغرة في أقوالي ولا بدّ أنكم اهتديتم إلى سائق السيارة المأجورة، ولكن مهما يكن من أمر فلا ينبغي أن يتبادر إلى أذهانكم أنني قد ارتكبت مثل تلك الجريمة؛ فلو كان في نيّتي أن أقتل عمّي لما استدعيت سائق سيارة وطلبت منه أن ينتظرني. إن الأمر يبدو غريباً شاذاً في هذه الحالة لأن التكتّم في ارتكاب الجرائم شرط ضروريّ، فهل خطر لكم هذا؟ نعم، حسناً. أنا أرى يا سيد بوارو أنك تفهمني حقّ الفهم، أمّا أنت أيها المفتش فتنمّ سحنتك على أنك لا تقيم وزناً لهذا الاعتراض. أنا أعرف ما ستقول، ستقول إن فكرة الجريمة طرأت على بالي فجأة. كنت واقفاً إلى جوار السيارة أنتظر عودة ابنة عمّي وعلى حين فجأة قلت لنفسي: "لماذا لا أقتل عمّي؟" وذهبت إليه على الفور وقتلته!

ولكن الحقيقة غير ذلك. لقد كنت في ضائقة مالية وكنت في حاجة إلى قدر كبير من المال في صباح اليوم التالي، فذهبت إلى عمّي أسأله مالاً فأبى أن يعطيني، فما العمل؟ هل أقترض من دورتيمر؟! لا؛ فأنا أعرف أنه لا رجاء لي في ذلك، أمّا زواجي بابنته فمستحيل لأنها أذكى من أن ترتضيني زوجاً لها.

وشاء القدر أن ألتقي بابنة عمّي في المسرح، وقد كانت علاقتنا دائماً ودّية، فأفضيت إليها بمتاعبي فدفعتها طِيبة قلبها إلى أن تعرض عليّ جواهرها التي ورثتها عن أمّها لأرهنها، فقبلت عرضها الكريم وذهبنا معاً إلى القصر لتأتيني بها. وبينما كنت واقفاً على جانب الطريق في انتظارها على مقربة من السيارة إذا بي ألمح رجلاً عرفت أنه الممثل السينمائي بريان مارتان، وكان يتّجه إلى القصر ثم يصعد الدرَج فيفتح الباب بمفتاح معه ويدخل، فعجبت للأمر كثيراً ورأيت أن أتبيّن السبب في دخوله؛ فقد أدهشني أن يحمل معه مفتاحاً للباب!

وتعلمون طبعاً أنني كنت أقيم في القصر منذ ثلاثة أعوام وكان معي مفتاح خاصّ بي، وعلى أثر طردي من القصر وضعت المفتاح في مكان غاب عنّي، ولكن اتفق أن عثرت عليه منذ يومين وأنا أفتش في ثيابي القديمة فوضعته في جيبي حتى إذا التقيت بعمّي أعدْتُه إليه. وكان ذلك المفتاح في جيبي في ذلك الوقت فتناولته وأسرعت إلى القصر وفتحت به الباب ودخلت ولكنني لم أجد للزائر أثراً في البهو، فلبثت في مكاني برهة أُرهِف السمع، ثم خطر لي أن من المحتمل أن يكون قد دخل قاعة المكتبة حيث اعتاد عمّي أن يمضي وقته عقب العشاء، فدنوت من القاعة وأسندت رأسي إلى الباب أسترق السمع ولكنني لم أسمع شيئاً.

وفي تلك اللحظة أدركت خطورة موقفي؛ فلو أن أحداً من الخدم فاجأني لارتاب في أمري وهم يعلمون ما بيني وبين عمّي من النفور فأسرعت أجتاز البهو، ولكنني لم أكَد أبلغ الباب حتى رأيت غيرلدين هابطة ومعها الجواهر فأدهشها أن تراني داخل القصر، فلمّا صرنا في الطريق شرحت لها ما كان من رؤيتي ذلك الممثل السينمائي وهو يدخل القصر بمفتاح معه. ثم عُدنا إلى المسرح مسرعَين فوصلنا في اللحظة التي أوشك الستار فيها أن يُرفع دون أن يشعر أحد بغيبتنا. وكان طبعاً في وسعي أن أفضي إليكم بهذه القصّة من أوّل الأمر ولكنني رأيتني متنبّهاً للشكوك والشبهات، ولو أخبرتكم أنني رأيت رجلاً يدخل القصر لما صدّقني أحد منكم وازداد موقفي حرجاً وسوءاً، فآثرت أن أكتم عنكم الحكاية مطلقاً واتفقت مع ابنة عمّي على ذلك، فهي توقن كل اليقين أنه لا يدَ لي فيما أصاب أباها.

أنا أعلم أن قصّتي قد تبدو غريبة إلى حدّ كبير، ولكنني أُقسِم لكم أنها الحقيقة بحذافيرها، وفي وسعكم أن تسألوا ابنة عمّي فتؤيّد أقوالي، كما أن في وسعكم أن تسألوا الجوهريّ الذي رهنت عنده الجواهر في اليوم التالي، وإذا ارتبتم في قولي فلا أظنكم ترتابون في شهادة الجوهريّ أو شهادة دينا.

- ومَن دينا هذه؟

- غيرلدين، ابنة عمّي، ودينا هو لقب التدليل.

فقال المفتش غوبي يسأله: هل معنى ذلك أن جين ولكنسون هي القاتلة في نظرك؟ لقد قلت هذا من قبل.

- وأنت أيضاً، ألم تقُل هذا في ضوء شهادة رئيس الخدم؟

- وماذا عن رهانك مع الآنسة آدمز؟

- رهاني مع الآنسة آدمز؟! ماذا تقصد؟

- أتنكر أنك عرضت عليها عشرة آلاف دولار إذا ذهبت إلى زيارة عمّك منتحلة شخصية زوجته جين ولكنسون؟

فحملق دونالد بدهشة وقال: أنا عرضت عليها عشرة آلاف دولار؟! ومن أين لي بهذا المبلغ؟ أهي التي أخبرتكم بذلك؟ يا إلهي! معذرة؛ لقد نسيت أنها ماتت!

فقال بوارو: أجل، لقد ماتت.

وأخذ دونالد ينقل بصره بين الحاضرين ثم تمتم قائلاً: أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك الرهان المزعوم، وقد أفضيت إليكم بالحقيقة ولكنني أقرأ في وجوهكم أنْ ليس بينكم من يصدّقني.

وما أشدّ دهشة المفتش غوبي والكابتن هيستنغز حين قال هيركيول بوارو: أنا أصدّقك.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

بوارو وتصرّفاته العجيبة

كان بوارو في مسكنه ومعه الكابتن هيستنغز، وعلى حين فجأة وقف الشرطي السرّي البلجيكي واختطف قبّعته ووضعها على رأسه فصاح هيستنغز قائلاً: ماذا جرى؟

- فيما بعد، فيما بعد.

وغادر المسكن لا يلوي على شيء.

وبعد نصف ساعة حضر المفتش غوبي ولم يكن بوارو قد رجع بعد، فلمّا علم بخروجه على ذلك النحو الشاذّ قال: الحقّ أن له تصرّفات تدهشني. اسمع يا هيستنغز، ما معنى قوله للكابتن مارشي إنه يصدّقه مع أن الدليل قائم على أنه هو القاتل؟

فقال الكابتن هيستنغز مؤمناً: لا أخفيك سرّاً إن قوله هذا أدهشني أنا أيضاً.

- لقد ظلّ طوال الأيام الماضية يحاول أن يقنعني بأن هناك رجلاً وراء الستار، فلمّا جئته بالرجل والدليل أبى أن يأخذ بكلامي!

فدخل بوارو في تلك اللحظة وألقى قبّعته ومعطفه على أحد المقاعد والتفت إلى المفتش غوبي وقال: هل أنت هنا يا غوبي؟ لقد كان في نيّتي أن أزورك. أصغِ إليّ، لقد أخطأنا خطأ فاحشاً.

فقال المفتش غوبي حانقاً: إن أمرك يحيّرني! لماذا تدافع عن ذلك الرجل؟

- أنا لا أدافع عنه وإنما أحاول أن أنقذك.

- تنقذني أنا؟!

- نعم، لأنني أنا الذي أوقعتك في الخطأ. مَن الذي أرشدك إلى هذا؟ إنه أنا، أنا الذي لفتتُ نظرك إلى كارلوتا آدمز، وأنا الذي ذكرت لك خطابها إلى أختها في أمريكا، أنا الذي جعلتك تسير في هذا خطوة بعد خطوة إلى...

فقال المفتش غوبي مقاطعاً: كان من المتوقّع على أيّ الأحوال أن أهتدي من تلقاء نفسي إلى هذا الأمر، وكل ما في الأمر أنك سبقتني مرحلة أو مرحلتين.

- ربما، ولكنني سأتحمل اللوم كلّه صوناً لكرامتك.

فابتسم المفتش غوبي وقد خُيّل إليه أن بوارو يريد أن يأخذ منه اعترافاً بأنه هو الذي أماط اللثام عن اللغز حتى يحرِمه من المجد المنتظر، فقال المفتش: عندما تنشر الصحف التفصيلات لن أحرِمك يا بوارو من جزء من إكليل الغار الذي سيكلّل هامتي.

فهزّ بوارو كتفيه وقد نفد صبره وقال: إكليل الغار؟! بل قُل إكليل الخيبة! فلو أنك قدّمت اللورد إدغوير إلى المحاكمة لأجمع المحلّفون على براءته.

- فليكن، فللمحلّفين كما هو معروف تصرّفات شاذّة. وحتى بفرض تبرئتهم اللورد إدغوير فالناس جميعاً سيظلّون على يقين من أنه هو القاتل وسيذكرون بالإعجاب جهودي في هذا الصدد. لكن دعنا من هذا الحوار الذي لا طائل منه واستمع إليّ حتى أخبرك بما صنعت.

- تكلّم.

- لقد استجوبت الآنسة غيرلدين فطابقت شهادتها أقوال ابن عمّها، ويمكن أن يقال إنهما شريكان وإن لم أكن متأكّداً من ذلك، على أن الشيء المؤكَّد هو أن له عندها مكانة عظيمة؛ فقد أُغمي عليها عند سماعها خبر القبض عليه.

- وماذا عن السكرتيرة الآنسة كارول؟

- لم يدهشها الأمر.

- وهل تحقّقتَ من مسألة رهن الجواهر؟

- نعم، ففي صباح اليوم التالي للجريمة ذهب الكابتن مارشي إلى تاجر جواهر فرهن عنده الجواهر. ولكنني أعتقد أنه لا علاقة بين الجريمة والجواهر، كل ما في الأمر أن الكابتن مارشي الْتقى بابنة عمّه قدَراً في المسرح فأخذ يحدّثها عن متاعبه المالية، وكان في نيّته طبعاً أن يرتكب الجريمة بدليل احتفاظه بمفتاح القصر، وفي أثناء حديثه معها خطر له فجأةً أن يتّخذ من ابنة عمّه أداة لنفي التهمة عن نفسه، فأخذ يلعب بعواطفها ولَمّح إلى جواهرها فما كان منها إلاّ أن عرضتها عليه لرهنها فذهبا معاً إلى القصر. وما كادت الفتاة تدخل القصر حتى أسرع في أثرها فلقي عمّه في قاعة المكتبة فقتله وهَمّ بالخروج، ولكنه فوجئ بغيرلدين أمامه فأراد أن

ينقذ الموقف فأفضى إليها بتلك الحكاية الملفَّقة عن دخول بريان مارتان إلى القصر. وفي الصباح رهن الجواهر ثم اتفق مع الفتاة على كتمان حكاية تلك الزيارة الليلية للقصر.

- ولكن ما الذي دعاه إلى الكلام؟

- غيّر رأيه طبعاً خشية أن يَزِلّ لسان ابنة عمّه فهي فتاة عصبية.

فقال بوارو: ولكن أترى أن من الحكمة أن يضع نفسه تحت رحمة فتاة عصبية كما تقول وقد كان بوسعه أن يتسلّل وحده من المسرح إلى القصر فيرتكب جريمته ثم يعود دون أن يشعر به أحد بدلاً من أن يجعل من ابنة عمّه العصبية ومن سائق السيارة شاهدَين على ما فعل؟

- هذا ما كان ينبغي أن يفعله حقاً، ولكن أتجهل أن أخطاء المجرمين هي التي تكشف من أسرارهم ما يسترون؟ وإذا كان بريئاً حقاً كما تقول فلماذا كان ذلك الرهان بينه وبين الآنسة آدمز؟

فقال بوارو بصوت حالم: ربما هو الذي تحدّث مع الآنسة آدمز. ولكن لا؛ هذه سخافات. ما رأيك في موت تلك الممثلة؟

فقال المفتش غوبي: أنا أعتقد أن موتها كان موتاً طبيعيّاً وليس للكابتن مارشي شأن فيه؛ فليس هناك ما يدعوه إلى قتلها ودليل النفي الذي تقدّم به قويّ في اعتقادي. وبفرض أنها شهدت بأنه هو الذي طلب منها تمثيل هذا الدور فلن يترتّب على شهادتها أيّ ضرر ما دام قد أثبت وجوده وقت الجريمة في مكان غير مكان وقوعها، كما أنه كان في وسعه أن يشتري سكوت كارلوتا بمبلغ آخر أو بتهديدها باعتبارها شريكته إن هي تكلّمت.

- وهل تعتقد أن كارلوتا آدمز كانت ترضى بالصمت وهي تعلم أن امرأة أخرى ستُشنَق بتهمة القتل؟

- ولكن جين ولكنسون ما كانت لتُشنَق وقد شهد ضيوف السير مونتاغو بأنها حضرت الوليمة.

فقال بوارو معترضاً: ولكنك تعلم أن القاتل كان يجهل حضور جين ولكنسون المأدبة وكان يعتقد أنها تخلّفت عنها فاعتمد في تنفيذ جريمته وستْر نفسه على اتهام جين ولكنسون وصمْت كارلوتا آدمز.

فصاح المفتش غوبي وقد نفد صبره قائلاً: معنى كلامك هذا يا سيد بوارو أنك تؤمن بأن دونالد مارشي بريء، فهل تقيم وزناً لتلك الحكاية العجيبة عن دخول بريان مارتان إلى قصر اللورد إدغوير بمفتاح خاصّ؟

- لو أنني كنت في موقف الكابتن مارشي لأدهشني الأمر كما أدهشك.

- ولعلك تزداد دهشة إذا عرفت أن بريان مارتان كان غائباً عن لندن في تلك الليلة بعينها، لقد كان في مولسي مع صديقة له ولم يعودا إلاّ بعد منتصف الليل.

- أحقاً؟ وهل تلك الصديقة ممثلة أيضاً؟

- لا، إنها صديقة للآنسة آدمز وصاحبة محلّ أزياء وشهادتها فوق الشكّ، فهل آمنت الآن بأن حكاية اللورد إدغوير الشاب ملفَّقة؟

فقال بوارو مغيّراً مجرى الحديث: وهل اكتشفت شيئاً

بخصوص باريس وتشرين الثاني (نوفمبر) والحرف «د»؟

- لا، وعلى أية حال تلك حكاية قديمة يرجع عهدها إلى ستة شهور ولا شأن لها بما نحن فيه.

- ستة شهور؟ يا إلهي! ما أشدّ غبائي!

ثم هبّ واقفاً واقترب من المفتش غوبي وقال باهتمام: أصغ إليّ. إن خادمة الآنسة آدمز لم تتعرّف على العلبة الذهبية وكذلكَ صديقتها الحميمة الآنسة درايفر، فهل تعرف السبب؟

- لا.

- السبب أن العلبة الذهبية لم تصل إلى يد كارلوتا إلاّ حديثاً وليس من مدّة ستة شهور كما ظننا. نعم، إن العلبة قُدّمت إليها قُبيل موتها، أمّا عبارة «تشرين الثاني (نوفمبر)» فإشارة بكلّ تأكيد إلى ذكرى شيء معيّن وليست إشارة لوقت الإهداء. اسمع يا عزيزي غوبي، أرجوك أن تتحرّى عن تلك العلبة، اتصل بالمتاجر المختلفة. ويغلب على ظنّي أنها مشتراة من باريس؛ لأنها لو كانت من لندن لتقدّم إلينا صاحب المتجر بشهادته بعد أن نشرت الصحف بإسهاب أوصاف العلبة وصورتها. نعم، ابحث يا عزيزي غوبي عن مصدر العلبة وعن سرّ الحرف «د».

فهزّ غوبي كتفيه بضجر وقال: هذه أبحاث عقيمة لا شأن لها بالجريمة ولكنني سأنفّذ رغبتك على أيّ الأحوال.

* * *

الفصل الثالث والعشرون
الخطاب

دعا بوارو صاحبه الكابتن هيستنغز إلى تناول طعام الغداء معه في أحد المطاعم، وعلى مقربة منهما كان يجلس الممثل السينمائي بريان مارتان ومعه جيني درايفر صاحبة محلّ الأزياء. وعند الفراغ من الطعام تركت جيني صاحبها وجاءت إلى مائدة بوارو فحيّته واستأذنته في الجلوس فرحّب بها وقال: ولماذا بقي السيد مارتان وحده؟

- أنا التي طلبت منه أن ينتظرني؛ فأنا أريد أن أحدّثك عن كارلوتا. لقد سألتَني من قبل عمّا إذا كنت أعرف إن كانت على علاقات صداقة حميمة مع أحد من الناس، أليس كذلك؟

- بلى، هو كذلك تماماً.

- لقد فكّرت في الأمور طويلاً واستعدت جميع الذكريات فأدركت أخيراً أن الرجل الذي كانت تهتمّ به إنما هو الكابتن دونالد مارشي، أعني اللورد إدغوير الشابّ.

- وما الذي حملك على هذا الظنّ؟

- لقد حدّثتني يوماً بلهجة مليئة بالعطف عن الرجال الذين

يقسو عليهم المجتمع وهم لا يستحقّون إلاّ الرحمة، وفهمت من حديثها أنها تعني الكابتن مارشي، ولم أعلّق في ذلك الوقت أهمّية على حديثها ولكنني عرفت فيما بعد أنها تميل إلى ذلك الرجل.

فقال بوارو فجأةً: ألم تعرفي يا آنسة أن الشرطة قبضت على الكابتن مارشي؟

- حقاً؟ يبدو أنني جئتك بهذه المعلومات بعد فوات الأوان.

- لا؛ فالمعلومات القيّمة يناسبها كل وقت وأنا مدين لك بالشكر.

ولما تركتهما ورجعت إلى بريان مارتان قال الكابتن هيستنغز: أظنّ أن ثقتك في براءة الكابتن مارشي قد تزعزت الآن؟

- لا، فأنا على العكس زدت من الأمر يقيناً.

* * *

في الأيام التالية لزم بوارو الصمت ولم يَعُد يشير إلى الجريمة بشيء كأنما الأمر لا يعنيه، وإذا ما فاتحه هيستنغز أجابه باقتضاب وغيّر مجرى الحديث مما جعل هيستنغز يعتقد أن بوارو أدرك غلطته ولكن كبرياءه تمنعه من الاعتراف بالهزيمة.

وفي صباح أحد الأيام حمل البريد إلى بوارو خطاباً من أمريكا لم يكَد يطّلع عليه حتى أشرق وجهه وناوله إلى هيستنغز ليقرأه. وكان الخطاب وارداً من لوسي أخت كارلوتا آدمز المقيمة في أمريكا رداً على رسالة بوارو إليها، وقد أكّدت فيه أن أختها تكره المخدّرات ولا تتناولها مطلقاً وأنها لا تعرف كارلوتا مغرمة بأحد

من الرجال، وكل ما في الأمر أن بين أصدقائها الذين تعزّهم ممثلاً سينمائيّاً يُدْعى بريان مارتان تعرفه منذ عهد الطفولة ورجلاً يُدْعى الكابتن مارشي، أمّا بين النساء فلها صديقة تُدْعى جيني درايفر.

كما أن المظروف كان يتضمّن نفس الخطاب الذي كتبته كارلوتا آدمز إلى أختها قُبيل موتها والذي أرسلت الشرطة الأمريكية نصّه برقيّاً منذ بضعة أيام إلى المفتش غوبي.

فقال الكابتن هيستنغز: إذن فقد اتصلتَ بها مباشرة وطلبت منها الخطاب الأصلي، فما الداعي إلى طلبه ولديك نصّه الحرفي؟!

فابتسم بوارو وقال: من المحتمل يا عزيزي هيستنغز أن يكشف الخطاب الأصلي ما لم يكشفه النصّ الحرفي.

- ولكنه خطاب عاديّ ولا جديد فيه.

- ربما، ولكنني أعتقد أن محتويات هذا الخطاب غامضة. قد تعتقد يا هيستنغز أنني أَهذي ولكن أصغِ إليّ. لقد درست تلك الجريمة من جميع نواحيها ونظمتها في سَلسلة قوية محبوكة وتسلسُل منطقيّ لا ثغرة فيه، وفجأةً يجئ هذا الخطاب فيعكس فروضي ويقلبها رأساً على عقب، فأين موضع الخطأ إذن؟ أنا الذي أخطأت أم الخطاب؟

فقال الكابتن هيستنغز بشيء من التهكّم: الخطاب طبعاً!

فرماه بوارو بنظرة عتاب وقال: أنا أعترف يا هيستنغز بأنني لست معصوماً من الخطأ، ولكن ما أنا بصدده الآن لا يحتمل خطأ أو تأويلاً، فصيغة الخطاب غير مفهومة في نظري ولا بدّ أن يكون

في الخطاب لغز خفيّ.

وأخذ بوارو يفحص أوراق الخطاب بالمنظار الدقيق ورقة بعد ورقة دون أن يطالعه منها شيء شاذّ، ثم ناول الأوراق إلى هيستنغز فلم يجد فيها ما يلفت النظر. وفجأةً صاح بوارو وهو يرتعد انفعالاً: انظر يا هيستنغز، انظر!

فأسرع إليه هيستنغز فوجده ناشراً أوراق الخطاب على المنضدة فقال: أنا لا أرى شيئاً يا بوارو.

- انظر! إن الخطاب مكوَّن من ثلاث صفحات، الصفحة الأولى مكتوبة على نصف فَرْخ مستقلّ من الورق، أمّا الصفحتان الثانية والثالثة فمكتوبتان على فَرْخ كامل مزدوج، أي متقابلتان. والمعهود أن يُكتب الخطاب إمّا على أنصاف أَفْرُخ وإمّا على أفرخ كاملة، أمّا أن يُكتب النصف الأوّل من الخطاب على نصف فرخ والنصف الثاني على فرخ كامل فأمر غير طبيعيّ!

- هذا صحيح.

- والآن انظر إلى نصف الفرخ تجد حرفه غير مقصوص بانتظام، وهذا دليل على أنه كان فرخاً كاملاً واقتُطع منه نصفه، وهذا معناه أن كارلوتا كتبت خطابها على فرخَين كاملَين مزدوجَين فجاء القاتل واقتطع نصف الفرخ الأوّل وأعدمه لأن له في ذلك مصلحة خاصّة سأبيّنها لك.

السطر الأخير في الصفحة الأولى هو قول كارلوتا: «والكابتن مارشي نفسه هو الذي قصّ عليّ ذلك فآلمني ما سمعت، ولقد أُعجِب بتقليدي لشخصية جين ولكنسون فقال». وهنا تنتهي الصفحة الأولى وتبدأ الصفحة المنزوعة التي لا نعرف ما تضمّنته

طبعاً، ولكن من المؤكّد أنها تتضمّن أقوال الكابتن مارشي، كما أن من المؤكّد أنها تضمّنت بعد ذلك اسم القاتل، أي اسم الشخص الذي طلب من كارلوتا أن تمثّل دور السيدة إدغوير في القصر لتخدع اللورد. وأعتقد أن السطر الأخير من الصفحة المنزوعة كان يتضمّن شيئاً بالمعنى الآتي: «إن فلاناً (أي الشخص المجهول) قال لي». وهنا تنتهي الصفحة المنزوعة وتبدأ الصفحة الثانية التي لدينا والتي هي في الواقع الثالثة بعد المنزوعة، وأوّلها كما ترى: «أنا أعتقد أن اللورد إدغوير نفسه يمكن أن ينخدع بهذا التقليد، أتحبّين أن تراهني على ذلك؟...» إلى آخره.

وما دامت الصفحة المنزوعة غير موجودة ففي هذه الحالة ينصرف الذهن إلى أن الكابتن مارشي هو صاحب الرهان لأن اسمه ظهر في آخر الصفحة الأولى وبدأت الصفحة التالية التي لدينا بالقول الذي يُفهَم منه أنه هو الذي نطق بتلك الجملة، في حين أن الذي نطق بها هو الشخص المجهول الذي جاء اسمه في نهاية الصفحة المنزوعة، أي الصفحة السابقة لحديث الرهان. فلا شكّ أن القاتل عرف بطريقة ما أن كارلوتا كتبت خطاباً إلى أختها فخشي أن تكون قد ضمّنت هذا الخطاب مسألة الرهان، وهو يعلم أن كارلوتا تحبّ أختها ولا تخفي عنها أمراً، ففضّ الخطاب خلسة واطّلع على محتوياته ولعله همَّ بأن يعدمه في أوّل الأمر ولكنه ما لبث أن رأى أن في وسعه أن يستغلّه لمصلحته بإعدام الصفحة التي يظهر فيها اسمه حتى ينصرف ذهن قارئ الخطاب إلى أن الكابتن مارشي هو صاحب الرهان. وفعلاً أعدم الصفحة وردّ الخطاب إلى مكانه كما كان فأعطته كارلوتا إلى خادمتها لتودِعه صندوق البريد.

فنظر الكابتن هيستنغز بإعجاب إلى بوارو، وإن كان قد خطر في باله أن من المحتمل أن تكون كارلوتا هي التي نزعت الصفحة قبل كتابتها لغرض ما وأن الكابتن مارشي هو فعلاً صاحب الرهان، ولكنه آثر أن يكتم تلك الملاحظة وقال: ولكن كيف وصل الخطاب إلى يد القاتل وقد كان طوال الوقت في حقيبة الآنسة آدمز وهي التي أعطته للخادمة لتودِعه البريد، هذا إذا أخذنا بشهادة الخادمة؟

- يحتمل أن تكون الخادمة كاذبة أو أن كارلوتا قابلت القاتل في المساء، وهذا التفسير في نظري معقول لأننا ما زلنا نجهل حتى الآن الكيفية التي أمضت بها كارلوتا وقتها منذ غادرت مسكنها في الساعة السادسة مساءً عقب كتابتها الخطاب، فيمكننا أن نتصوّر أنها التقت بالقاتل لتتلقّى تعليماته النهائية وأنهما جلسا يتناولان الطعام في أحد المطاعم، ولعلها وضعت الخطاب على المائدة حتى لا تنسى أن تودِعه البريد فرآه القاتل واغتنم الفرصة فسرق الخطاب من فوق المائدة ثم انسحب بحجّة من الحجج وفضّه في دورة المياه ونزع منه الصفحة المريبة ثم ردّه إلى غلافه كما كان، ولما رجع إلى المائدة تظاهر بأنه يلتقطه من فوق الأرض إذ سقط سهواً، ووضعه على المائدة كما كان. وعلى أية حال هذه كلّها تفصيلات لا أهمية لها؛ فالمهمّ أن نظريتي في شأن الجريمة تصبح الآن محبوكة لا ثغرة فيها بعد أن عرفت أن هناك صفحة نُزعت من الخطاب وأن الثغرة إنما كانت في نصّ الخطاب الذي نقلته البرقية إلينا.

وساد الصمت برهة ثم قال بوارو: ونتيجة ذلك أن القاتل قابل كارلوتا آدمز في ذلك المساء، وأعتقد أنه قدّم إليها العلبة الذهبية في تلك المقابلة، فالقاتل إذن شخص يبدأ اسمه بالحرف «د» أو على الأقلّ اسم التدليل الخاصّ به، والذي تناديه به كارلوتا يبدأ

بهذا الحرف. وهنا تعرض للذهن نقطة مهمّة.

المعروف عن كارلوتا أنها لا تتناول منوّمات، وليس بين من يعرفونها من رأى العلبة الذهبية، فالعلبة كما قلت قُدّمت إليها حديثاً، وعبارة «تشرين الثاني (نوفمبر)» المنقوشة عليها تشير إلى تاريخ ذكرى معيّنة لا إلى تاريخ الإهداء. وأعتقد أن القاتل قابل كارلوتا عقب تمثيلها دور السيدة إدغوير أمام اللورد فقدّم إليها كأساً من الشراب نخب نجاحها وفوزها بقيمة الرهان ودسّ لها في الشراب جرعة قوية من الفيرونال، كما أهداها العلبة الذهبية نخب النجاح أيضاً حتى إذا رجعت إلى بيتها وبدأ مفعول المنوّم فقتلها وجدت الشرطة علبة المنوّم في حقيبتها فوقع في الذهن أن موتها حدث بشكل طبيعيّ لإدمانها المنوّمات.

- هذا تفسير معقول.

واسترسل بوارو قائلاً: من هذا ترى أن القاتل أمضى سهرته متنقّلاً بين قصر اللورد إدغوير والمطعم ومشرب ليونز؛ فليس في وسعه أن يثبت وجوده في غير مكان الجريمة وقت وقوعها لعدم استقراره في مكان واحد ولكن لا بدّ من هذا الدليل ليثبت براءته. فعلينا إذن أن نبحث عن القاتل في شخص رجل يبدأ اسمه أو لقبه بحرف «د» ولديه ما يثبت أنه كان في غير مكان الجريمة وقت وقوعها!

* * *

الفصل الرابع والعشرون
أخبار باريس

في صباح اليوم التالي جاءت غيرلدين لزيارة بوارو وقالت له: لقد أخبرني ابن عمّي يا سيدي أنك صدّقت حكايته التي قصّها عليك، فهل معنى ذلك أنك تؤمن ببراءته؟

- طبعاً، فأنا أعتقد أنه لم يقتل عمّه.

- شكراً لك، ولكن مَن الذي قتله في رأيك؟

- لي في ذلك نظرية معيّنة، أو بعبارة أصحّ شكوكاً معيّنة.

- هل في وسعك أن تصارحني بما انتهيت إليه؟

- الاتهام الآن يكون سابقاً لأوانه يا آنسة.

- ولكن قد يكون في وسعي أن أساعدك.

ولبث بوارو صامتاً فاسترسلت الفتاة قائلة: إن الدوقة مارتون تعتقد أن زوجة أبي هي القاتلة، أمّا أنا شخصيّاً فأرتاب في الأمر.

- ومن أين علمت أن هذا هو رأي الدوقة مارتون؟

- أنا أقابلها كثيراً، فهي تحبّني ولم تنقطع عن زيارتي منذ مات أبي.

- وما رأيك في ابنها؟

- أراه شديد الحياء والاعتكاف وأعتقد أن أمّه تغالي في الثناء عليه.

- أخبريني يا آنسة، أتحبّين ابن عمّك؟

- طبعاً.

- إذن فأنت لا تحبّين أن يُشنَق؟

فارتعدت الفتاة وقالت: يا إلهي! هذا فظيع. ليتها كانت القاتلة! نعم، إنها هي القاتلة، والدوقة تؤكّد ذلك.

فقال بوارو: من سوء حظّ الكابتن مارشي أنه تَبِعك إلى القصر، ولو أنه بقي في السيارة لأنقذته شهادة السائق. وبالمناسبة، هل سمعت أو لاحظت أية حركة داخل القصر ساعتها؟

- لا.

- وماذا فعلت هناك؟

- صعدت إلى غرفتي لآتي بالجواهر وأمضيت في ذلك بعض الوقت.

- وهل كان ابن عمّك في البهو عند نزولك؟

- نعم، كان قادماً من ناحية قاعة المكتبة ففاجأني بالحديث دون أن أراه فأفزعني. ليته بقي في السيارة! أتوسّل إليك يا سيد

بوارو أن تبذل جهدك في إنقاذه.

وعلى أثر انصراف الفتاة دقّ جرس الهاتف وكان المفتش غوبي هو المتحدّث، ولما ردّ بوارو السمّاعة إلى مكانها قال لصاحبه: الآن تأكّدنا يا هيستنغز أن العلبة الذهبية مشتراة من باريس. لقد طُلِبت بخطاب من مصنع مختصّ بصناعة هذا النوع من العلب، وكان الخطاب مذيّلاً باسم كونستانس أكرنلي، وواضح أن صاحبة هذا الاسم لا وجود لها طبعاً. وقد وصل الخطاب إلى المصنع قُبيل الجريمة بيومين وطُلِب فيه نقش الحروف والجملة التي رأيناها، كما طُلِب بشِدّة تسليم العلبة في اليوم التالي، أي في صباح اليوم الذي ارتُكبت فيه الجريمة، وتمّ تسليم العلبة ودفع الثمن في الموعد المحدّد.

- ومَن الذي تسلّم العلبة من المصنع؟

- امرأة يا هيستنغز! امرأة ضئيلة الجسم متقدّمة في السنّ وعلى عينيها نظارة.

* * *

الفصل الخامس والعشرون
زلّة لسان

في نفس ذلك اليوم كان بوارو والكابتن هيستنغز يتناولان الغداء في مطعم كلاريدج بدعوة من السيد والسيدة ودبيرن، ولم تكن تلك أوّل دعوة توجّهها السيدة ودبيرن إلى الشرطي السرّي الشهير، ولكنها كانت أوّل مرة يلبّي فيها الدعوة ولا يعتذر عن قبولها.

وكانت المأدبة حافلة بنفر غير قليل من عِلية القوم ورجال الفنون والأدب، فكان على المائدة الممثّل دونالد روس وجين ولكنسون والدوق مارتون والسير مونتاغو وبريان مارتان وغيرهم. وكان الدوق بادي الضجر وذلك بلا شكّ لأن المدعوّين لم يكونوا من الطبقة التي ينتمي إليها، فقد كان رغم انغماسه في حبّ جين ولكنسون لا يزال محتفظاً بنزعته الأرستقراطية المتعجرفة.

وفي أثناء الحديث انطلق أحد الحاضرين يتكلّم عن الفنون والآداب ويردّد أسماء بعض الذين نبغوا فيها، ثم قال: وما رأيكم في باريس؟

فارتفع صوت جين ولكنسون الموسيقيّ العذب يقول: باريس

في هذه الأيام ليس لها أية قيمة، إن الأزياء في لندن ونيويورك أفضل بكثير.

جاءت تلك الكلمات في وقت اشتدّت فيه المناقشة فسادَ الحاضرين وجوم عام، وسعل دونالد روس وأسرعت السيدة ودبيرن تتحدّث عن التمثيل الروسي وانبرى كل واحد من الحاضرين يقول أيّ شيء تغطيةً للموقف، وظلّت جين وحدها صامتة وقد شعرت بأن جملتها هي السبب في ذلك الوجوم والاضطراب.

وأرسل الكابتن هيستنغز بصره إلى الدوق مارتون فوجده مقطب الجبين محتقن الوجه، ثم رآه يبتعد قليلاً عن جين ولكنسون الجالسة إلى يمينه ويوجّه عنايته واهتمامه إلى السيدة الجالسة إلى يساره، ولعلّه في تلك اللحظة قد أدرك خطأه في اختيار زوجته المقبِلة.

وبمجرّد الفراغ من الطعام استأذن بوارو في الانصراف؛ فقد كان مهتمّاً بتحقيق حادث سرقة وقع في السفارة البلجيكية. واقترب دونالد روس من الكابتن هيستنغز وقال: أين ذهب السيد بوارو فأنا أريد أن أتحدّث معه؟

- لقد خرج منذ لحظات.

فبدا الأسف على وجه روس فقال له هيستنغز: أتريده شخصيّاً؟

فأجاب بشيء من التردّد قائلاً: الواقع أنني لا أدري.

ثم أردف قائلاً: لقد حدث شيء غريب، شيء لا أدري له

تفسيراً أو تعليلاً، وكان بودّي أن أعرف رأي السيد بوارو.

وكان واضح الارتباك والانفعال فقال له هيستنغز: سيعود بوارو إلى منزله في الساعة الخامسة ويمكنك أن تتّصل به هاتفيّاً ليحدّد لك موعداً لمقابلته.

- شكراً لك، إلى الساعة الخامسة إذن، وأنا أعتقد أن ما سأفضي به إليه له أهمية خطيرة.

ولما همّ الكابتن هيستنغز بالانصراف شعر بيد تلمس ذراعه، فلمّا التفت وجد أمامه جيني درايفر فقال لها: كيف حالك وحال أزيائك الجديدة؟

- على ما يرام، لقد ابتكرنا قبّعة جديدة أعتقد أنه سيكون لظهورها ضجّة في عالم الأزياء، وأجمل ما فيها ريش النعام الذي يزينها.

- ولكن ألا يؤنّبك ضميرك يا آنسة درايفر؟

فضحكت وقالت: يبدو لي أنك من أنصار جمعية الرفق بالنعام!

ثم حيّته وقالت وهي تبتعد: إلى اللقاء، سأقضي بقية اليوم في الريف لأستمتع بالراحة.

- إلى اللقاء وأرجو لك نزهة بديعة.

وفي الساعة الخامسة إلاّ الربع رجع بوارو إلى داره، ولما استقرّ بعض الوقت دقّ جرس الهاتف فقال هيستنغز: هذا هو دونالد روس فيما أعتقد.

- دونالد روس؟

- نعم، ذلك الممثل الشابّ الذي التقينا به عند السير مونتاغو، إنه يريد أن يحدّثك.

وكان دونالد روس هو المتكلّم فعلاً فقال: أنا آسف يا سيد بوارو لإزعاجك ولكنني اكتشفت مسألة غريبة أحبّ أن أفضي بها إليك، مسألة لها صلة بمصرع اللورد إدغوير، وقد أكون مخطئاً في ظنوني.

- تكلّم، تكلّم. اشرح لي ما تريد.

- إنها ملاحظة خاصة بباريس. أنت تعلم طبعاً أن...

ثم بتر جملته وقال: عفواً؛ جرس الباب يدقّ فاسمح لي بلحظة واحدة يا سيد بوارو ريثما أنظر مَن الطارق، أرجوك أن تنتظر على الهاتف.

ومرّت لحظة تبعتها لحظات حتى انتظم الوقت خمس دقائق دون أن يرجع دونالد روس إلى إتمام حديثه، فوضع بوارو السمّاعة في مكانها وهتف قائلاً: هيستنغز! أنا أتوقّع شرّاً أصاب المسكين، فلنسرع إلى بيته.

* * *

الفصل السادس والعشرون
باريس

كان باب مسكن دونالد روس مواراً فدفعه بوارو ودخل، ولم يكَد يتوسّط المكان حتى رأى الشابّ المسكين طريحاً على الأرض فانحنى فوقه يفحصه ثم رفع رأسه وقال: لقد مات بطعنة في أسفل النخاع الشوكي! نفس الطعنة التي قضت على اللورد إدغوير.

ولزم بوارو الصمت وأخذ يتابع في سكون إجراءات الشرطة وتحقيقاتها، فقد تولّى الكابتن هيستنغز استدعاءها. وأخيراً قال: هيا بنا نعود إلى بيتنا يا هيستنغز.

ولما احتواهما البيت قال: لقد قُتل المسكين لأنه أراد الاتصال بي، والطعنة التي أصابته تدلّ أيضاً على أن قاتله هو نفس الشخص المجهول الذي قتل اللورد إدغوير. كان روس على وشك أن يصارحني بشيء خطير وإلاّ فلماذا قُتل؟ لقد قال في الهاتف إنه سيكاشفني بمسألة لها صلة بباريس، فباريس إذن هي مفتاح اللغز!

وأخذ يتمشى في أرجاء الغرفة غارقاً في خواطره ثم قال:

ومما يؤسَف له أن كلمة «باريس» تتردّد في كل مناسبة تتّصل بتلك الجريمة وبطريقة مختلفة؛ فباريس محفورة على غطاء العلبة الذهبية، والآنسة آدمز كانت تقيم في باريس في شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، وربما كان روس مقيماً هناك أيضاً في نفس الوقت، فهل يُحتمَل أن يكون هناك شخص ثالث يعرف روس وشاهده روس في رفقة الآنسة آدمز في ذلك الوقت؟

- هذا ما لا علم لنا به يا بوارو.

- ولكن في وسعنا أن نتبيّن الحقيقة. فلنستعِدْ إلى أذهاننا يا هيستنغز كل مناسبة تردّدت فيها كلمة «باريس». لدينا مثلاً المرأة ذات النظّارة التي تسلّمت العلبة الذهبية من المصنع الموجود في باريس، فهل يعرف روس تلك المرأة؟ والدوق مارتون كان يقيم في باريس وقت وقوع الجريمة، واللورد إدغوير كان ينوي أن يذهب إلى باريس صبيحة يوم مصرعه. ولكن اسمع، ألا يجوز أنه قُتل للحيلولة دون ذهابه إلى باريس؟

ثم قطب جبينه وعاد يقول: ولكن أخبرني ما الذي جرى في أثناء مأدبة الغداء في كلاريدج؟ إن لمصرع روس علاقة وثيقة بكلمة «باريس» لأن حديثه معي كان بشأنها. هل حدث في أثناء المأدبة أو بعدها شيء يتعلّق بباريس؟ هل تحدّث أحد من الحاضرين عن باريس؟ هل تحدّث عنها روس؟

فقال الكابتن هيستنغز: لا، بل إن السير مونتاغو هو الذي قال: "وما رأيكم في باريس؟" وكانت جين ولكنسون هي التي انبرت للإجابة قائلة: "ليس لباريس أية قيمة في هذه الأيام، إن أزياء لندن ونيويورك تفضلانها كثيراً".

- وما الذي حدث عندئذ؟

- لقد وجم الحاضرون؛ إذ كانوا يتحدثون عن باريس عاصمة الفن والرسم، أما جين فقد تحدثت عن الأزياء فدلّت بذلك على جهلها، مما أثار حنق الدوق ودهشة الحاضرين.

- وما الذي بدر حينئذ من دونالد روس؟

- لقد سعل ارتباكاً ثم رأيته يحملق بدهشة في جين ولكنسون، وظلّ طوال المأدبة يرسل إليها بصره متفرّساً فيها، وكان يرمي بنظره أيضاً إلى السيدة ودبيرن.

- ومن كان جالساً إلى جانب هاتين السيدتين؟

- الدوق مارتون.

- من المحتمل أن نظره كان متّجهاً في نفس الوقت إلى الدوق مارتون. المعروف أن الدوق كان موجوداً في باريس في أثناء الجريمة، فهل يحتمل عندما سمع روس كلمة «باريس» أن يكون قد تذكّر فجأةً شيئاً معيّناً يثبت أن الدوق لم يكن موجوداً في باريس مثلاً؟

فهزّ الكابتن هيستنغز كتفيه وقال: أنت تغالي في تفسيراتك يا عزيزي بوارو.

- المغالاة هنا نافعة غير ضارّة، ومن المؤكّد أن روس قُتل لأنه أراد أن يحدّثني عن باريس، فعلينا إذن أن نخمّن حتى ننتهي من كل ما يتّصل بباريس، وأرجوك أن لا تنسى أن للدوق دافعاً إلى القتل ولكن المفتش غوبي لم يجرؤ أن يرتاب فيه لعلوّ مكانته ولم يحاول أن يتأكّد من أنه كان موجوداً حقيقةً في باريس وقت وقوع

الجريمة أم لا، مع أن من السهل جداً أن يحضر طائراً فيرتكب الجريمة ثم يعود طائراً في نفس الوقت.

وساد الصمت برهة ثم عاد بوارو يقول: قلت لي إن روس سعل عندما نطقت جين ولكنسون بجملتها عن باريس، فهل كان مضطرباً عندما جاءك بعد الطعام وسألك عني؟

- كان شديد الارتباك والحيرة.

- هذا معناه أن فكرة طرأت على باله يراها سخيفة غير معقولة. وهل سمع أحدٌ حديثَه معك؟

- ربما؛ فقد كان على مقربة منّي نفر من المدعوّين ولكنني لا أذكر أسماءهم. من المؤكّد أن قاتل روس ليس الكابتن مارشي ما دام الكابتن سجيناً بتهمة قتل عمّه، وفي هذا ما يؤيد رأيك أنه ليس هو قاتل اللورد إدغوير.

- هذا صحيح.

وبعد برهة قصيرة قال بوارو: أنت تذكر طبعاً يا هيستنغز أنني وضعت خمسة أسئلة وهي: لماذا عدل اللورد إدغوير عن رأيه في مسألة الطلاق؟ ومَن الذي حجز الخطاب الذي كتبه إليها في هذا الشأن؟ وما سبب نظراته الحقودة التي شيّعَنا بها عندما انصرفنا من زيارته؟ وما سبب وجود النظارة في حقيبة كارلوتا آدمز؟ ولماذا اتصل بعضهم هاتفيّاً بالسيدة إدغوير في أثناء وجودها في قصير السير مونتاغو، ولماذا قُطع الحديث على الفور؟

لقد عرفت حتى الآن أجوبة ثلاثة من تلك الأسئلة، وكان هذا الجواب متّفقاً مع النظرية التي وضعتها في أوّل الأمر عن

شخصية الشخص المختفي وراء الستار، ولكن لا يزال أمامي سؤالان بلا جواب. يا إلهي! الآن... الآن فقط عرفت جواب هذين السؤالين!

* * *

الفصل السابع والعشرون
سِرّ النظارة

على أثر تلك الكلمات نهض بوارو وقال لصاحبه: هيا بنا يا عزيزي نذهب إلى قصر اللورد إدغوير، فأنا متشوّق إلى مقابلة عزيزتنا الآنسة كارول.

فضحك هيستنغز وقال: الحقّ أنها جديرة بأن تُحَبّ!

ولما استقبلتهما الآنسة كارول أخذ بوارو يستفسر منها عن حالة الآنسة غيرلدين وهل استعادت هدوءها ورباطة جأشها، ثم أخذ يقارن بين غيرلدين وبين جين ولكنسون وأيهما أكثر ثباتاً وسيطرة على أعصابها، فقاطعته الآنسة كارول بقولها: ولكن لا أظنك حضرت يا سيدي في مثل هذه الساعة لتحدّثني عن رأيك في أخلاق السيدتين! أهناك خدمة يمكن أن أسديها إليك؟

- الواقع أنني أريد أن أستعين بذاكرتك.

- ذاكرتي رهن إشارتك.

- أتذكرين أن اللورد إدغوير كان في باريس في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي؟

- لحظة واحدة يا سيدي حتى آتيك بجواب لا ريب فيه.

وعادت بعد لحظات تحمل مفكّرة صغيرة نظرت فيها ثم قالت: لقد ذهب اللورد إدغوير إلى باريس في تشرين الثاني (نوفمبر)، ثم رجع في اليوم السابع منه، وعاد إليها في السابع والعشرين ولم يرجع إلاّ في الرابع من كانون الأوّل (ديسمبر).

- وما سبب زيارته لتلك المدينة؟

- ذهب في المرّة الأولى ليبتاع بعض التحف، أمّا في المرة الثانية فلم أعلم أن له غرضاً معيّناً.

- وهل صحبت الآنسة غيرلدين أباها في هاتين المرتين؟

- غيرلدين لا تصحب أباها مطلقاً في رحلاته، فضلاً عن أنها كانت في ذلك الوقت موجودة في المدرسة في باريس.

- وهل صحبتِه أنت في رحلتَيه؟

- لا. ولكن لماذا توجّه إليّ هذه الأسئلة يا سيد بوارو؟

وبدلاً من أن يجيبها بوارو قال يسألها: أتحبّ غيرلدين ابن عمّها؟

- طبعاً، ولكن ماذا يهمّك أنت من ذلك؟

- لقد زارتني في الصباح وأظنك تعرفين ذلك.

فبدت الدهشة على وجه السكرتيرة وقالت: لا، لم تخبرني. ولكن ما الذي دعاها إلى زيارتك؟

- لقد اعترفت لي بأنها تحبّ ابن عمّها، أو هذا على الأقلّ

ما استنتجته.

- إذن فلماذا سألتني؟

- لأنني أردت أن أعرف رأيك.

- إذن أصارحك بأنني أعتقد أنها مفتونة به أكثر مما ينبغي.

- أنتِ لست راضية إذن عن اللورد إدغوير الشابّ، أليس كذلك؟

- أنا لم أقُل هذا، ولكنني لا أحبّ إقباله على الشراب وكنت أؤثر أن ترتبط غيرلدين بشابّ أكثر منه رزانة.

- كالدوق مارتون مثلاً؟

- أنا لا أعرف الدوق شخصيّاً ولكنني واثقة من أن أمّه تفضّل أن تراه زوجاً لغيرلدين على أن يتزوّج تلك الممثلة جين ولكنسون.

- وهل تعتقدين أن الكابتن مارشي يبادل ابنة عمّه حبّها؟

- هذا سؤال لا معنى له في مثل هذه الظروف.

- إذن فأنت واثقة من أنه سَيُدان؟

- أنا لا أعتقد أنه القاتل.

- ولكنك تعتقدين أنهما سَيُدان على أيّ الأحوال، أليس كذلك؟

ولكن الآنسة كارول لزمت الصمت وأبت أن تجيب فقال بوارو: اسمحي لي بسؤال أخير، أتعرفين كارلوتا آدمز؟

- لقد رأيتها على المسرح.

- إنها ممثلة مبدعة. آه، أين قفّازي ونظارتي؟

وانحنى فوق المنضدة ليتناول قفّازه حيث كان قد وضعه مع نظّارته، وكانت نظّارة الآنسة كارول موضوعة على نفس المنضدة فتناولها وقدّمها إليها واستأذن في الانصراف، ولكنه لم يكَد يبلغ باب القاعة حتى نادته الآنسة كارول وأعادت إليه النظارة قائلة: هذه ليست نظارتي يا سيد بوارو، لقد وضعتها على عيني فلم أرَ من خلالها شيئاً.

- كيف هذا؟

وأخرج من جيبه نظّارته وهو يقول: يبدو أنني خلطت بين نظارتي ونظارتك فتناولت نظارتك خطأ.

وأعاد إليها نظارتها واستردّ نظارته قائلاً: إنهما متشابهتان كما ترَين.

ولما خرج قال لصاحبه: الآن عرفت أن النظارة التي وجدناها في حقيبة الآنسة آدمز ليست خاصّة بالآنسة كارول.

- إذن فالنظارة التي قدّمتها إليها هي نظارة الآنسة آدمز؟

- هو ذاك، ولكن ليس معنى هذا أنه ليس للنظارة صاحب.

- ومَن صاحبها في اعتقادك؟

- هذا ما سنتبيّنه عاجلاً، فكن مطمئناً.

* * *

الفصل الثامن والعشرون
بوارو يوجّه بعض الأسئلة

لم يكَد بوارو يعود إلى بيته حتى اتصل هاتفيّاً بفندق سافوي وطلب مخاطبة السيدة إدغوير فقاطعه الكابتن هيستنغز بقوله: أنسيت يا عزيزي أنها تمثّل الآن في المسرح؟

فكان جوابه باقتضاب: لم أنسَ.

ثم عاد إلى الحديث الهاتفي قائلاً: مَن؟ وصيفة السيدة إدغوير؟ ماذا تقولين؟ نعم، فهمت، في المسرح. حسناً، أنا السيد هيركيول بوارو وأنت تذكرينني طبعاً. حسناً، لقد حدث شيء مهمّ وأريد أن تحضري حالاً لمقابلتي. لا؛ فالأمر ضروريّ ولا بدّ من حضورك.

ثم ذكر عنوانه للوصيفة، ولما وضع السمّاعة في مكانها قال الكابتن هيستنغز يسأله بدهشة: أيّ شيء تُعِدّ يا بوارو؟ وما الذي حدث؟

- لا شيء، كل ما في الأمر أنني أريد أن أنتزع منها بعض المعلومات.

- عمّن؟ عن جين ولكنسون؟

- لا، فما أعرفه عنها فيه الكفاية.

ثم لزم الصمت وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة فهِم منها هيستنغز أنه لا ينوي أن يكاشفه بما في خاطره.

وبعد عشر دقائق وصلت وصيفة السيدة إدغوير فصافحها بوارو مرحّباً ودعاها إلى الجلوس قائلاً: أنا شاكر لك قدومك يا آنسة، فأنا أحبّ أن أوجّه إليك بعض الأسئلة. كم مضى عليك في خدمة السيدة إدغوير؟

- ثلاثة أعوام.

- وأظنك مُلِمّة بشؤونها الشخصية. أتعرفين أعداءها؟

- هناك كثير من النساء حاولن أن يُلْحِقن بها الأذى بدافع الغيرة.

- وهل هناك من يحقد عليها؟

- نعم، هناك كثيرات حاقدات عليها؛ فهي جميلة وذات جاذبية طاغية ولها في عالم المسرح منافِسات كثيرات.

- وماذا عن الرجال؟

- الرجال تصنع بهم ما تشاء، إنهم ألعوبة بين يديها.

- أتعرفين بريان مارتان ممثّل السينما؟

- طبعاً يا سيدي.

- يُخيّل إليّ أن علاقة بريان مارتان بسيّدتك كانت علاقة وثيقة وأنه منذ عام كان يتردّد على زيارتها، فهل أنا مصيب في اعتقادي؟

– كل الإصابة، لقد كان مفتوناً بها يا سيدي، بل يمكنك أن تقول إنه لا يزال مفتوناً بها.

– وهل كان في نيّته أن يتزوّجها في ذلك العهد؟

– نعم يا سيدي.

– وهل هي...؟

– كانت تبادله نفس الرغبة، ولو أنها ظفرت بالطلاق حينئذٍ لاقترنت به على الفور.

– ثم ظهر الدوق مارتون في الميدان، أليس كذلك؟

– بلى يا سيدي، لقد التقى بسيّدتي في أثناء رحلته في الولايات المتحدة.

– وكان في ذلك القضاء المبرم على آمال بريان مارتان.

– أجل يا سيدي، إن السيد مارتان يربح أموالاً طائلة ولكن الدوق يمتاز عنه بهذا اللقب العظيم الرنّان، وبزواج سيدتي من الدوق تصبح من أبرز الشخصيات في المجتمع الإنكليزي.

– وكيف تلقّى بريان مارتان ذلك التغيير؟

– بالحزن الشديد، وقد ثارت بينه وبين سيدتي مشاحنات عنيفة، وفي إحدى المرّات هدّدها بمسدّسه، ثم أخذ يغرق في الشراب إلى درجة الإدمان.

– ولكن الأمر انتهى به إلى الرضوخ، أليس كذلك؟

– هذا ما يتبادر إلى الذهن من الوهلة الأولى، ولكنني أعلم

أنه لا يزال شديد التعلّق بها مُصرّاً على متابعتها، ولكن سيدتي تتلقّاه هازئة مستخِفّة، وأنت تعلم طبع النساء في هذه الشؤون، فهي تريد أن ترى مبلغ فتنتها. لكنه في هذه الأيام لا يلتقي بها إلاّ قليلاً ولعلّه قد بدأ ينساها.

- ربما.

نطق بوارو بتلك الكلمة بلهجة مثيرة للشكّ والريبة فنظرت إليه أليس بدهشة وقالت: أهناك خطر يهدّدها يا سيدي؟

- نعم، هناك خطر عظيم يهدّدها ولكنها هي التي أثارته.

ووضع بوارو يده على حافّة الموقد بغير اكتراث فأصابت يده إناء للزهر فانقلب الإناء وتطاير رشّاش الماء على ثوب أليس ووجهها، فأخذ بوارو يعتذر لها ومَدّ يده فالتقط نظارتها الموضوعة على عينيها وهو يقول: أنا آسف جداً، اسمحي لي أن أجفّف نظارتك.

وذهب بالنظارة إلى الغرفة المجاورة ثم رجع بها بعد لحظات مجفَّفة وأعادها إلى صاحبتها فوضعتها على عينيها ثم شكرها على حضورها وأذن لها بالانصراف.

ولما خرجت التفت إلى هيستنغز وقال: لقد حجزتُ نظارة أليس وقدّمت إليها بدلاً منها النظارة التي وُجدت في حقيبة كارلوتا آدمز فلبستها دون أن تشعر بفارق.

- وما معنى هذا؟

- معناه أن أليس هي صاحبة النظارة!

* * *

الفصل التاسع والعشرون
بوارو يتكلّم

في صباح اليوم التالي كان بوارو جالساً في غرفة مكتبه، وقد اجتمع عنده بدعوة منه الكابتن هيستنغز والمفتش غوبي والممثل السينمائي بريان مارتان والآنسة جيني درايفر صاحبة محلّ الأزياء. واستهلّ بوارو حديثه بقوله مخاطباً المفتش غوبي: أتريد أن تعرف قاتل اللورد إدغوير والآنسة كارلوتا آدمز ودونالد روس؟

- طبعاً.

- إذن أعِرني سمعك تعرف كل شيء. سأقودك خطوة خطوة في الطريق إلى اكتشاف الحقيقة وسأريك مبلغ حماقتي وغبائي؛ فقد كان مفروضاً أن أهتدي إلى الحقيقة في خلال بضع ساعات وإذا بي أحتاج إلى أيام.

وسكت هنيهة ثم استطرد قائلاً: سأبدأ روايتي بما حدث في تلك الليلة التي كنت أتناول فيها عشائي في فندق سافوي مع صديقي الكابتن هيستنغز حين أقبلت علينا السيدة إدغوير وسألتني أن أرافقها إلى الجناح الخاص بها لأنها تريد أن تتحدّث معي،

وهناك حدّثتني عن زوجها ورغبتها في التخلّص منه وقالت بغير رويّة أو تدبّر إنها على استعداد إن رفض الطلاق أن... ولقد سمع السيد بريان مارتان تلك الجملة، أليس كذلك يا سيد بريان؟

فقال الممثل مجيباً: لقد سمعها كل الحاضرين.

- إذن فلا خلاف بيننا في هذا. وواضح طبعاً أن كلمات السيدة إدغوير انطبعت في ذهني ولكن كأنما خشي السيد بريان مارتان أن أنساها فجاءني في صباح اليوم التالي ليذكّرني بها و...

فصاح بريان مارتان مقاطعاً: معذرة، لقد جئت لغرض آخر.

فأومأ إليه بوارو بيده يطلب السكوت واسترسل قائلاً: نعم، أنا أعرف أنك جئتني بحجّة أخرى، جئت تقصّ عليّ رواية لا أصل لها من الحقيقة عن رجل ذي سنّ ذهبية يطاردك من بلد إلى بلد في أمريكا، ومثل تلك الحكاية المزعومة يمكن أن تجوز على شخص عاديّ ساذج ولكنها لا يمكن أن تجوز على هيركيول بوارو، فالأسنان الذهبية قلّما تشاهَد في أوروبا أو أمريكا الآن، فقد تقدّمت الجراحة في أمريكا تقدّماً مدهشاً جعلت تركيب الأسنان الذهبية من الأشياء الخيالية التي لا وجود لها، فَهُم هناك يركّبون أسناناً بيضاء. وبمجرّد أن قلت إنّ لمطاردك سنّاً ذهبية خمّنت أن حكايتك ملفَّقة فضلاً عن أن عدوّك المجهول يكون أغبى الناس إن هو اختار لمطاردتك رجلاً ذا سنّ ذهبية يمكن أن يلفت إليه الأنظار بتلك السنّ. ولما انتهيت إلى هذا الرأي قلت لنفسي إن مما يؤيّد هذا الفرض أن يجيئني بريان مارتان بعد أيام ليخبرني بأن صديقته أبت عليه أن يكاشفني بسرّ المطاردة، وفعلاً صحّت ظنوني مما جعلني

أوقن بأن حكاية الرجل ذي السنّ الذهبية لا وجود لها. إذن فقد كان الغرض الوحيد من زيارتك لي أن تذكّرني بأن السيدة إدغوير قالت إنها ستقتل زوجها إن أبى أن يطلّقها، لا سيّما أنك تعمّدت أن تحوّل الحديث إلى هذه الناحية بشكل غير طبيعيّ جعلك تخلق المناسبة خلقاً مفتعلاً مما أثار ريبتي. والواقع أن أساس خطّتك كلّها هو ما قالته السيدة إدغوير عن رغبتها في التخلّص من زوجها حتى ولو بقتله.

فقال بريان مارتان وقد امتقع لونه: أنا لا أفهم ما ترمي إليه يا سيدي!

- لقد حاولت أن تلقي في أذهاننا أن موافقة اللورد إدغوير على الطلاق مستحيلة حتى تُثْنِي بذلك السيدة إدغوير عن تكليفي بهذه المهمّة ولكنها كلّفتني فعلاً، غير أن هذا لم يحملك على تغيير خطّتك، فقد كنت تعلم أنني لن أقابل اللورد إدغوير إلاّ في اليوم التالي لمصرعه، وقد غاب عنك أن الموعد تعدَّل وأنني لقيته ظُهر اليوم الذي قُتل فيه وأنه رضي بالطلاق، وأكثر من ذلك أن اللورد إدغوير سبق أن كتب لزوجته خطاباً لم يصلها، فإمّا أن تكون كاذبة في قولها، وإمّا أن يكون زوجها هو الكاذب ولم يكتب لها خطاباً، وإمّا... أن يكون هناك شخص حجز الخطاب وحال دون وصوله إلى صاحبته، فمن ذلك الشخص؟ وهنا وجّهت إلى نفسي هذا السؤال: ما الذي دعا السيد بريان إلى زيارتي ليسوق إليّ قصة كاذبة؟ وكنت في نفس الوقت قد استنتجت أنك مفتون بالسيدة إدغوير، كما أن زوجها أخبرني بأنها ترغب في أن تتزوّج ممثلاً، ولكنني كنت أعلم أنها ستتزوّج الدوق مارتون، وبالتالي لم يكن من العسير أن أستنتج أنك أنت الشخص الذي له مصلحة في حجز

الخطاب عنها حتى تحول دون زواجها بالدوق مارتون.

- أنا الذي حجزت الخطاب؟! أنا لم أفعل شيئاً من هذا.

- انتظر من فضلك ودعني أمضي في روايتي. المعروف عنك أنك معبود النساء وما من فتاة تتردّد على السينما إلاّ وهي تعشق بريان مارتان، فكيف تكون حالتك النفسية إذا رأيت جين ولكنسون تنبذك وتوصد بابها في وجهك لتتزوّج رجلاً آخر؟ ففي ثورة من ثورات غضبك صحّ عزمك على أن تنتقم منها وأن تسبّب لها الأذى، بل لقد تمنّيت أن تراها في ورطة شديدة فتكون متّهمة مثلاً أو مذنبة مدانة.

فصاح المفتش غوبي قائلاً: عجباً!

فالتفت إليه بوارو قائلاً: نعم يا صديقي، هذه هي الفكرة العبقرية التي نبتت في ذهنه فأدّت إلى حوادث أخرى. كانت كارلوتا آدمز صديقة لرجلين: الكابتن مارشي، وبريان مارتان. وليس معقولاً أن يكون الكابتن مارشي هو صاحب الرهان الذي دعاها إلى تقليد شخصية السيدة إدغوير وخداع اللورد مقابل عشرة آلاف دولار؛ لأن كارلوتا -وهي صديقة حميمة له- تعرف أنه رقيق الحال لا يملك مثل هذا القَدْر من المال، على عكس بريان مارتان الذي يحتمل أن يكون هو صاحب الاقتراح والذي تمكّنه ثروته من دفع قيمة ذلك الرهان.

فهتف الممثل قائلاً: أقسم لك أنني لم أراهن كارلوتا على شيء من هذا!

واستطرد بوارو قائلاً: وعندما أرسلت الشرطة الأمريكية إلينا برقية فيها نصّ الخطاب الذي كتبته كارلوتا إلى أختها حِرْتُ في

الأمر وأيقنت أن هناك حلقة مفقودة، فلمّا جاءني أصل الخطاب تبيّنت على الفور أن هناك صفحة ناقصة مما يؤدّي إلى أن ينصرف الكلام إلى أن الكابتن مارشي هو صاحب الرهان. ولما قُبض على الكابتن مارشي شهد بأنه رأى بريان مارتان يدخل قصر عمّه، ومثل هذه الشهادة من رجل متّهم ومقبوض عليه لا قيمة لها، فضلاً عن أن السيد مارتان استطاع أن يثبت وجوده في غير مكان الجريمة وقت وقوعها. ولا يغيب عني طبعاً أنه إذا كان بريان مارتان هو القاتل فسيعمل حتماً على أن يدبّر هذا الدليل ليثبت بُعده عن مكان الجريمة ساعة حدوثها، وهذا الدليل يستند إلى شهادة شخص واحد، أعني صديقته الحميمة الآنسة جيني درايفر.

فقالت صاحبة محلّ الأزياء: ماذا تقصد يا سيدي؟

- لا شيء، ولكن أرجوك أن تذكري أنني رأيتك في نفس الوقت تتناولين الطعام مع السيد مارتان وأنك جئت إلى مائدتي لتحاولي أن تقنعيني بأن كارلوتا آدمز تحبّ الكابتن مارشي، مع أن الحقيقة أنها تحبّ بريان مارتان.

فصاح الممثل قائلاً: هذا غير صحيح يا سيّدي!

- ربما لم تفطن أنت إلى الأمر ولكن هذا لا يغيّر من الحقيقة شيئاً، فضلاً عن أن هذا هو التفسير الوحيد المعقول لكراهيتها للسيدة إدغوير، فهي تبغض تلك المرأة وتغار منها لأنها تعرف أنك مغرم بها. ويغلب على ظنّي أنك أنت الذي أفضيت إليها بذلك.

- هذا صحيح، فأنا الذي حدّثتها بأنني أحبّ السيدة إدغوير؛ فقد كنت في حاجة إلى صديق مخلص أبوح له بسرّي، وكانت كارلوتا تبدو دائماً عطوفة رقيقة الجانب.

- أعرف هذا، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ قبضت الشرطة على الكابتن مارشي فسرى الاطمئنان إلى نفسك لأن مشروعك الأوّل قد أخفق حين غيّرت السيدة إدغوير رأيها فذهبت إلى مأدبة السير مونتاغو، وبالقبض على الكابتن مارشي وجدتَ متهمّاً يرفع عن عاتقك عبء التهمة. وفي خلال وليمة فندق كلاريدج سمعت الممثّل دونالد روس يقول للكابتن هيستنغز شيئاً أقلقك وأزعجك.

- هذا غير صحيح؛ فأنا لم أسمع شيئاً؛ أقسم أنني لم أرتكب تلك الجريمة!

وهنا أدهش بوارو الحاضرين بمفاجأة مسرحية حين قال: هذا صحيح، أنا أعرف أنك لم ترتكب تلك الجريمة، وأرجو أن يكون في هذا درس يعلّمك أن لا تكذب مرّة أخرى على هيركيول بوارو.

ولبث الحاضرون صامتين واسترسل بوارو قائلاً: إنّ ما قصصته عليكم يصوّر لكم الأخطاء التي وقعتُ فيها، وذلك أنني في تحليلي للجريمة كنت أعتقد في الأيام الأولى أن السيد بريان مارتان هو القاتل وأنه دبّر الأمر بالطريقة التي ذكرتها لكم.

فقال المفتش غوبي: ومَن القاتل إذن؟

- لقد ألقيت على نفسي خمسة أسئلة يعرفها الكابتن هيستنغز وأجبت على ثلاثة منها: مَن الذي حجز الخطاب؟ بريان مارتان. لماذا رضي اللورد إدغوير بالطلاق بعد أن كان مُصرّاً على الرفض؟ كي يتزوّج مرّة أخرى على وجه التحقيق. لماذا شيّعني اللورد إدغوير بنظرات الحقد والكراهية عندما زُرته في قصره؟ لأنه رجل حريص على كرامته شديد الكبرياء فساءه أن يقف رجل أجنبيّ مثلي

على ما بينه وبين زوجته.

ولكن يبقى بعد هذا سؤالان: مَن صاحب النظارة التي وجدناها في حقيبة كارلوتا آدمز؟ ومَن الذي خاطب السيدة إدغوير هاتفيّاً وهي في وليمة السير مونتاغو؟ في أوّل الأمر أردت أن أجيب على هذين السؤالين بأن بريان مارتان -القاتل في اعتقادي- هو صاحب النظارة وهو أيضاً صاحب الحديث الهاتفي، ولكن الواقع لم يكن يؤيّد هذا الفرض؛ فبريان مارتان لا يستعمل النظارات. وكما عرفنا أخيراً كان بريان في ليلة الجريمة في رفقة صديقته جيني درايفر خارج لندن، وهنا أدركت أنني أخطأت في اتهامي للسيد بريان مارتان؛ لأن صاحب الحديث الهاتفي وصاحب النظارة لا بدّ أن يكون هو القاتل، وما دام بريان مارتان ليس صاحبهما فليس هو القاتل.

وعُدت ثانية أقرأ خطاب كارلوتا آدمز إلى أختها، وكنت قد افترضت أن بريان مارتان هو صاحب الرهان وليس الكابتن مارشي. وسواء كان مارتان هو صاحب الرهان أو أيّ شخص آخر فإن اسم صاحب الاقتراح كان حتماً في الصفحة المنزوعة. والآن لنفرض أن هذا الاسم لامرأة وليس لرجل، فالمفروض أن السطر الأخير من الصفحة المنزوعة يتضمّن كلمة «فقالت» بدلاً من كلمة «فقال» التي افترضتُ وجودها عندما كنت أظنّ أن صاحب الاقتراح رجل، فلمّا انتفت التهمة عن مارتان وافترضت أن الاقتراح صدر عن امرأة وجدت أنه ليس هناك ما يمنع من أن يسري سياق الخطاب على امرأة؛ فالصفحة التالية التي أعقبت الصفحة المنزوعة خالية من الضمائر التي كان ممكناً أن يُستدَلّ منها على أن صاحب الاقتراح رجل أو امرأة.

واستعرضت أسماء النساء اللائي لهنّ صلة بالقتيل، وبخلاف جين ولكنسون ارتبت في أربع: غيرلدين مارشي، والآنسة كارول، والآنسة درايفر، والدوقة مارتون. ولدى كل واحدة من هؤلاء النسوة دافع يمكن أن يكون قد حملها على قتل اللورد إدغوير. لقد كانت الآنسة كارول في نظري هي أقربهن إلى الشبهة؛ فهي تستعمل النظارات وكانت في القصر ليلة الجريمة وكانت شديدة التحمّس في إلقاء التهمة على جين ولكنسون، أمّا دافعها إلى القتل فكنت أجهله تفصيلاً، ولكنها امرأة خدمت اللورد إدغوير ثلاث سنوات ومن المحتمل جداً أن يكون لديها أسباب كثيرة نشأت في خلال تلك المدّة الطويلة تحملها على قتله. أمّا غيرلدين مارشي فدافعها إلى القتل أنها تكره أباها كما اعترفت بذلك بصراحة، ومن المحتمل حين حضرت إلى القصر في رفقة ابن عمّها لتأتيه بالجواهر أن تكون قد تسلّلت إلى قاعة المكتبة فقتلت أباها وانصرفت مسرعة. ويمكنكم أن تذكروا انزعاجها عندما رأت ابن عمّها في البهو، فقد كانت تظنّ أنه في انتظارها عند السيارة، فهل أزعجها ما خشيته من اكتشافه جريمتها؟

يضاف إلى هذا أن العلبة الذهبية المحتوية على الفيرونال والتي وُجدت في حقيبة كارلوتا آدمز كانت مهداة إليها من شخص يبدأ اسمه بحرف «د» وقد سمعت الكابتن مارشي ينادي غيرلدين باسم «دينا» كلقب تدليل، فيمكن أن تتّجه الشبهة إلى أنها صاحبة العلبة. كما أنها كانت في المدرسة بباريس في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ومن المحتمل أن تكون قد التقت بكارلوتا هناك في ذلك الوقت. وقد يستغرب بعضكم أن تتّجه شبهتي إلى الدوقة مارتون، ولكن تلك السيدة جاءت تستشيرني وصارحتني بأنها لا تحجم عن شيء في سبيل الحيلولة دون زواج ابنها وجين ولكنسون، كما

أنها أخذت تؤكّد أن جين هي الجانية، فيُحتمَل أن تكون الدوقة مارتون هي التي قتلت اللورد إدغوير وأنها هي صاحبة الرهان حتى تلقي الشبهة على السيدة إدغوير لتحول دون اقترانها بابنها. والأم في سبيل سعادة ولدها قد لا تتردّد حتى في ارتكاب الجرائم! والآن ننتقل إلى شبهاتي الخاصّة بالآنسة جيني درايفر...

فنظرت إليه الفتاة وقالت: وأيّ شيء لديك ضدّي؟!

- لا شيء أكثر من أنك صديقة بريان مارتان وأن اسمك يبدأ بحرف «د». أنت التي شهدت بأن بريان مارتان كان ليلة الحادث في رفقتك بعيداً عن لندن، فهل صدَقت في شهادتك أم كذبت؟ وإذا كنت صادقة فمَن الذي رآه الكابتن مارشي يدخل القصر في تلك الليلة؟ وعلى حين فجأة ذكرت أن رئيس الخدم يشبه إلى حدّ غير قليل السيد مارتان في وسامته وقوامه وشكل أنفه بل ومشيته، ومن المحتمل جداً أن الكابتن مارشي رأى رئيس الخدم يدخل القصر فظنه بريان مارتان، ولا سيّما أن المسافة بينهما كانت كبيرة. يضاف إلى هذا أن من غير المحتمل أن يكون لدى بريان مفتاح يفتح به باب القصر عند دخوله، على عكس رئيس الخدم الذي كان في إمكانه الحصول على ذلك المفتاح. وهنا خطرت لي فكرة أخرى.

لقد قال رئيس الخدم إنه نزل في الساعة الحادية عشرة ليوصد أبواب القصر وإنه رأى قاعة المكتبة مظلمة وهو يجتاز البهو فاعتقد أن اللورد أوى إلى فراشه، ولكنني رجّحت أن المسألة لم تكن بهذا الشكل؛ فمهمّة رئيس الخدم تقضي عليه بأن لا يغلق فقط أبواب القصر وإنما نوافذه أيضاً، ومن المؤكّد أنه رأى سيّده مقتولاً ولكنه كتم هذا الاكتشاف حتى إذا دخلت الخادمة إلى القاعة في الصباح كانت هي أوّل من أعلن الخبر المشؤوم. فلماذا لم يقُل رئيس

الخدم إنه رأى سيّده مقتولاً؟ لقد رأى عند دخوله القاعة ليلاً على المكتب المئة جنيه التي جاءت بها الآنسة كارول إلى اللورد فسوّلت له نفسه أن يستولي عليها، ولهذا كتم الخبر حتى لا يُتّهم بأنه هو السارق، بل تُوجَّه تهمة السرقة إلى القاتل أيضاً. وهذا هو السبب في فراره عندما رأى رجال الشرطة يراقبونه، فقد خشي أن يكونوا قد اكتشفوا سرقة المبلغ المذكور.

وسكت هيركيول بوارو برهة ثم استرسل قائلاً: بقيت مسألة النظارة. لو كانت الآنسة كارول هي صاحبتها لانجلى الأمر ولَفُهِم أنها هي التي اختلست خطاب كارلوتا إلى أختها فأعدمت الصفحة في أثناء وجودهما معاً وتكون قد نسيت النظارة فحملتها كارلوتا معها، ولكنني تحايلت على أن أجعل الآنسة كارول تضع النظارة على عينيها، وما إن فعلت حتى قالت على الفور: "إنها لا تخصّني". إذن فمَن صاحبة النظارة؟ وهنا خطر لي فجأة أن أليس وصيفة السيدة إدغوير تستعمل النظارات، فقلت لنفسي: لماذا لا أقوم بتجربة لأتأكّد مما إذا كانت تلك نظارتها أم لا؟ وكانت نتيجة التجربة أنني عرفت أن النظارة التي كانت في حقيبة كارلوتا آدمز تخصّ أليس!

* * *

الفصل الثلاثون

كيف وقعت الجريمة

صمت بوارو طويلاً ثم قال: والآن سأقصّ عليكم أيها الأصدقاء كيف وقعت الجريمة. في صباح يوم الحادث ذهبت كارلوتا إلى فندق بيكادللي واستأجرت غرفة تحت اسم السيدة فان دوسن، وذلك بإيعاز من جين ولكنسون التي أعطتها نظارة سميكة لتضعها على عينيها وهي تستأجر الغرفة حتى يتغيّر شكلها، وتلك النظارة خاصّة بوصيفتها أليس، فقد كانت لديها نظارتان تحتفظ بإحداهما في دولابها فأخذتها جين خلسة.

وفي الساعة السابعة ذهبت كارلوتا إلى الغرفة التي استأجرتها في فندق بيكادللي باسم السيدة فان دوسن، وفي الثامنة والنصف جاءت السيدة إدغوير إلى الفندق وسألت عن السيدة فان دوسن فأرشدوها إلى غرفتها فصعدت إليها، وهناك تبادلت المرأتان ثيابهما ووضعت كارلوتا على رأسها شعراً مستعاراً يشبه شعر جين ولكنسون ثم غادرت الفندق وعليها ثياب جين، على حين بقيت جين في الغرفة مرتدية ثياب فان دوسن وعلى عينيها نظارتها السميكة.

وعندما غادرت كارلوتا الفندق ذهبت إلى قصر السير مونتاغو لتحضر الوليمة، وقد قابلتُ بنفسي السير مونتاغو وفهمت من حديثه وحديث المفتش غوبي أيضاً أن معرفته هو ومدعوّيه بجين ولكنسون كانت معرفة سطحية، فإذا حضرت كارلوتا المأدبة متنكّرة على هيئة جين فلن يكتشف أحد خدعتها. أمّا جين ولكنسون فقد غادرت الفندق بعد قليل زاعمة أنها مسافرة، ودفعت الحساب منتحلة شخصية السيدة فان دوسن التي كانت ترتدي ثيابها وتستعمل نظارتها وعلى رأسها شعر أسود مستعار كشعرها.

وأخذت جين ولكنسون (أعني فان دوسن) سيارة إلى محطة أيستون، وهناك في غرفة الزينة نزعت الشعر المستعار والنظارة السميكة وأودعت الحقيبة لدى الأمين، وقبل أن تذهب إلى قصر زوجها اتصلت هاتفيّاً بالسيدة إدغوير (المزعومة) بقصر السير مونتاغو لتتأكّد من أن كارلوتا موجودة وأن حيلتها جازت على المدعوين، فلمّا اطمأنت من تلك الناحية ذهبت إلى مقابلة زوجها معلنة شخصيتها الحقيقية واثقة من أنها ستتمكّن من إثبات وجودها في مكان آخر؛ فشهادة رئيس الخدم بأنه رآها في القصر لن يقام لها أيّ وزن أمام شهادة السير مونتاغو وضيوفه الثلاثة عشر. وهكذا ارتكبت جين ولكنسون جريمتها الأولى وقتلت زوجها.

ورجعت جين إلى محطة أيستون واستردّت الحقيبة، وكان لا بدّ لها أن تلتقي بكارلوتا فذهبت إلى مشرب ليونز لتمضي بعض الوقت، وكانت تنظر إلى ساعتها بين الفينة والفينة، حتى إذا حان الوقت غادرت المشرب ووضعت في الحقيبة العلبة الذهبية المملوءة بالفيرونال. وهنا عثرت في الحقيبة على خطاب كارلوتا إلى أختها ففضّته واطّلعت عليه، فلمّا رأت أن كارلوتا كاشفت

أختها بمسألة الرهان خطر لها للوهلة الأولى أن تعدم الخطاب كلّه، ولكنها فطنت إلى أن إعدام الصفحة الثانية التي تتضمّن اسمها يفيدها أكثر مما يفيدها إعدام الخطاب كلّه؛ لأن الشبهة في هذه الحالة ستتحوّل إلى الكابتن مارشي على اعتبار أنه هو صاحب الرهان. ثم ألصقت الغلاف كما كان وردّته إلى الحقيبة وبعد ذلك ذهبت إلى مقابلة كارلوتا في فندق سافوي.

وكانت كارلوتا قد سبقتها إلى الفندق وجلست تنتظرها في غرفة نومها وهي لا تزال متنكّرة في هيئة جين نفسها، ولما لحقت بها جين لم يفطن إلى دخولها أحد لأن هذا الفندق الكبير يعجّ بالداخلين والخارجين كما تعلمون. وهناك تبادلت المرأتان الثياب فارتدت كل منهما ثيابها الأصلية. وأعتقد أن السيدة إدغوير قدّمت كأساً من الشراب إلى كارلوتا آدمز بعد أن أذابت في المشروب كمّية كبيرة من الفيرونال، وهنّأتها على نجاحها في تمثيل دورها ووعدتها بأن تعطيها العشرة آلاف دولار في اليوم التالي.

ورجعت كارلوتا إلى بيتها وحاولت أن تتحدّث هاتفيّاً مع أحد أصدقائها، ولكن الخطّ كان مشغولاً فأرجأت الحديث إلى الصباح لأنها كانت في حاجة إلى النوم ولأن الفيرونال بدأ مفعوله، ولعلكم تذكرون أن خادمتها شهدت بأن سيّدتها رجعت من الخارج متعَبة منهكة القوى وذلك طبعاً نتيجة المنوّم. ونامت كارلوتا آدمز ولكنها لم تستيقظ! وهكذا ارتكبت السيدة إدغوير جريمتها الثانية!

وهنا ننتقل إلى الجريمة الثالثة. في المأدبة التي أقامتها السيدة ودبيرن في فندق كلاريدج أخذ أحد المدعوّين يتحدّث عن الفنّ والأدب ثم قال: "وما رأيكم في باريس؟" وكان يقصد بطبيعة الحال

باريس عاصمة الفن والأدب، ولكن السيدة إدغوير (وهي امرأة غير مثقّفة) لم ترَ في باريس سوى الأزياء فقالت بصوت سمعه جميع الحاضرين إنه ليس لباريس أية قيمة وإن لندن ونيويورك تفضلانها. وهنا وَجَمَ الحاضرون أمام جهلها وعدم فطنتها، وكان أشدّ الحاضرين وجوماً أولئك الذين حضروا مأدبة السير مونتاغو منذ يومين أو ثلاثة وسمعوا السيدة إدغوير نفسها تتحدّث بإسهاب حديثاً يدل على معرفة عميقة بالثقافة والأدب.

وكان من بين هؤلاء الحاضرين شخص واحد فقط هو الذي أدرك أن السيدة إدغوير التي تحدّثت منذ أيام ليست هي السيدة إدغوير التي تحدّثت الآن، وكان هذا الشخص هو الممثّل الشاب دونالد روس! فعندما سمع العبارة التي نطقت بها السيدة إدغوير سعل وشهق وأخذ يحملق فيها ويتفرّس في وجهها وقد سرى الشكّ إلى نفسه بأن التي حضرت مأدبة السير مونتاغو ربما كانت امرأة أخرى سواها متنكّرة في هيئتها وشكلها، ولفت بتفرّسه نظر السيدة إدغوير فجعلت تراقبه خلسة، ولما رأته يتحدّث إلى هيستنغز ويخبره بأنه يرغب في مقابلتي ليطلعني على أمر غريب لا يكاد يصدَّق أدركت الخطر المحدق بها وعرفت أن دونالد روس يوشك أن يكتشف الحقيقة، وهكذا ارتكبت جريمتها الثالثة!

وسكت بوارو فقال المفتش غوبي يسأله: ولكن ما الذي يدفعها إلى قتل زوجها ما دامت قد عرفت أنه وافق على الطلاق؟

- لأن الدوق مارتون كاثوليكي متعصّب ومحال بأن يرضى بالزواج من امرأة لا يزال زوجها على قيد الحياة، أمّا إذا ترمّلت فالأمر يختلف.

- إذن لماذا أوفدتك إلى زوجها لتباحثه في مسألة الطلاق؟

- كي أشهد في مصلحتها إذا وقعت الشبهة عليها فأقول كما قال البعض إنها ليس لديها دافع إلى القتل ما دام زوجها راضياً بالطلاق! وفعلاً جازت عليّ تلك الخدعة في أوّل الأمر واعتقدت أن دافعها إلى القتل قد انتفى.

- وماذا عن العلبة الذهبية؟

- لقد أوصت عليها المصنع بخطاب وأوفدت وصيفتها أليس إلى باريس لتتسلّمها.

- وما سرّ مسألة الطعنة ودقّتها من الوجهة العلمية؟

فضحك بوارو وقال: لو أنك كنت يا عزيزي غوبي قد قرأت كتاب «التشريح العلمي» لرأيت المؤلّف يذكر فيه أن الطعنة التي تصيب النخاع الشوكي تُحدِث الموت على الفور، والنظرية مشروحة بالصور، فلا شك أن السيدة إدغوير تعلّمت تلك الطعنة من الكتاب المذكور، وعليك أن تقرأه يا غوبي إذا كان في نيّتك أن ترتكب جريمة قتل!

وساد الصمت برهة ثم قال هيركيول بوارو: والآن ماذا تنوي أن تفعل يا عزيزي غوبي؟

- سأقبض فوراً على جين ولكنسون.

وقال الممثل بريان مارتان: الحق يا عزيزي بوارو أنك أنبغ شرطيّ سرّيّ في العالَم.

- أنت رجل مدهش!

- ألا تراه مدهشاً يا سيّدي المفتش؟

فقطب غوبي جبينه وقال: مدهش؟ نعم، طبعاً مدهش، ولكن الحقيقة أنه اكتشف ما كنت أنا نفسي سأكتشفه. كل ما في الأمر أنه سبقني فقط!

* * *

(تمت)